

ويأتيك بالأخبار . . .

منشورات مكتبة سمير

شارع غورو - بيروت

تلفون ٢٢٦٠٨٥-٢٣٨١٨١

ي . الجميل

الغنّاء والناشطة
وقصص اخرى

منشورات مكتبة سمير

بيروت – شارع غورو

هاتف : ٢٢٦٠٨٥ – ٢٣٨١٨١

ويأتيك بالأخبار ...

القصة الاولى

الغنّاء والناشطة

للعمل وقت وللهو وقت . اما انت فاعتقد انك تلميذ عاقل فهيم تعرف كيف تجمع بين الجدّ واللعب .

الغناء والناشطة
وقصص أخرى

- ١ -

سأقص عليك ، ايها القارىء العزيز ، قصة الغنّاء والناشطة . أرجو ان تجد في قراءتها مُتعة وعِبرة (ما يساعدك على حسن التصرّف في حياتك — امثولة) .

الصرّار حشرة مجنّحة (لها اجنحة) تطير في الفضاء ، وتحُطّ على الأشجار ، فتمتصّ من نُسغها (مائيتها) ما تقتات به . يحمِل الصرار معه ، أنّى توجّه ، آلة موسيقية مُثبَتة في بطنه . كما لو غرزت حديدة دقيقة في خشبة ، ونقَرتها بظِفرك ، فتُحدث رنّة او صوتا .

في الأيام الغابرة ، كان يعِنّ للأولاد الكسالى ان يأخذوا ريشة للكتابة — انت لم تعرِف عهد الريشة ،

بل وُلدت في عهد قلم الحبر السائل او الناشف ، كما انني لم اعرف عهد قلم الغزّار – يأخذ اذاً التلاميذ الكسالى ريشة ، ويغرزون طرَفها في الطاولة أمامهم ، وينقُرونها بظِفرهم ، فتُحدث رنّة يتردّد صداها في القاعة ، فيثور ثائر المعلم .

فآلة الصرار الموسيقية هي أشبه بتلك الحديدة الدقيقة ، او بتلك الريشة . كلما خطَر له ان يُغنيّ ، نقر تلك الآلة مرات لا تُحصَى ، فيُحدث صوتا على وتيرة واحدة (طريقة – نمط) . وفي اكثر الاحيان ، تتجاوب معه جماعة من الصرارات . ولا تسل عندئذ عن الضجة المُنكَرة التي تُقلق بها راحتك تلك الجوقة المرتجَلة .

يحلو الغناء لجوقتنا هذه عندما يحتدم الحرّ (اشتدّ) ، فينفُر عنك النوم اذا ما أردت القَيلولة . وهناك ايضا صرار الليل الذي يطيب له الغِناء عندما يركُد النسيم ،

ويُخيّم الصمت ، فيُمزق حجابَ السكون غِناؤه .

ان الذين تكلّموا على الصرار يتّهمونه بالكسل (ينسُبونه اليه) ، ويقولون ذلك ، لا لانه يحب الغناء – ومن لا يحب الغناء ؟ – بل لانهم يزعُمون ، ويبدو ان هذا الزعم باطل ، انه يقضي أوقاته لاهيا لاعبا ، دون ان يقوم بعمل مُجدٍ . فيصِحّ فيه القول المأثور : اذا كان أحد لا يريد ان يعمل فليس له ان يأكل .

اما انت فأعتقد انك تلميذ عاقل فهيم ، تعرِف كيف تجمع بين الجِدّ واللعب . فاذا انْصرفت الى اللهو وأهملت درسك ، لست على صواب ، واذا أقبلت على الدرس وامْتنعت عنِ اللعب ، انت على ضَلال .

* * *

النَّملة حَشَرة صغيرة ، دقيقة الخصر ، تدِبّ على الأرض . يعيش النمل جماعات في قرية (بيت النمل) ، غالبا ما تكون تحت الأرض . وقد أُسمِي بيت النمل

قرية ، لسَعته وتعدّد غرفه . فيه يعيش الآلاف من تلك الحشرات .

اما أبصرتَ ، ولو مرة واحدة ، جماعات النمل ، وقد خرجت من قريتها ، تزحَف على الأرض بصفّ منتظم ، وهي ذاهبة لتغزو كيس قمح شمّت رائحته من بعيد ؟ ولو شاهدتها في طريق العودة لأدهشك ما يقع عليه بصرك ؛ ولكنت ترى جيشا جرّارا (كثير العدد) يحمِل الى وكره المئات لا بل الألوف من حبات القمح . لا تعجب ، فهي تجمع مُؤونة الشتاء . لان النمل في فصل الشتاء يأوي الى بيته ، فلا يفارقه قبل ان يأتي الربيع .

إشتهرتِ النملة بالجِدّ والنشاط والمثابرة على العمل . فهي تنظر الى بعيد ، فتخزُن في صيفها ما تتغذّى به في شتائها . اما انت فتجمع الآن في سِني دِراستك ، ما تنتفع به في مستقبل حياتك .

ما رأيك لو نعتنا الصرار بالغنّاء ، ولقّبنا النملة بالناشطة ؟ يبدو لي انك توافق على هذا الاقْتراح ، فليكن كما تريد .

— ٢ —

ماذا حدث لصاحبَينا هذين ؟ نبدأ قصتنا في أوائل الصيف ، ونختِمها في أواخر الشتاء .

في النصف الثاني من شهر حزيران يحين وقت الحِصاد . ولا أجمل من منظر حقل زُرع قمحا ، وقد آن وقت حصاده . هي السنابل بلون الذهب ، وقدِ اكْتنزت (امتلأت حبا) وحنت رأسها لِثقلها . وهو النسيم يمرّ بتلك السنابل ، فتتموّج (تشبه حركتها حركة موج البحر) . تنحني السوق مع النسيم لتعود فتستقيم ، ويمرّ بها النسيم من جديد ، فتميل معه لتعود فتنتصب .

يطفَح وجه النملة بِشرا لهذا المشهد (فرحا) ، لانه سيتيسّر لها جمع غِذائها . ويرقُص له الصرار طربا ،

لانه سيُغني ما طاب له ان يغني . حطّ الصرار على شجرة تُشرف على الحقل واسْترسل في الغناء . أغنية لها أول ما لها آخِر ، تارة تؤنسك وتارة تُزعجك ، وينتهي بك الامر الى ان تَسهو عنها لرَتابتها . ونشِطت النملة الى العمل .

عندما تعِب صاحبنا وأتعب سامعيه ، توقّف عن الغناء قليلا ، وأجال طَرْفه في الحقل أمامه . أبصر الناشطة تجُرّ حبة قمح تَبغي إيصالها الى وكرها . إلتهى الغناء بهذا المشهد ، وراح يراقب حركاتها . رآها تجُدّ في عملها وهي لا تعرِف التعب . عندما دنت من بيتها اعْترض طريقها حصاة فصعِدتها ، وهي يُخيّل اليها انها تتسلّق القرنة السوداء (أعلى قِمّة في جبال لبنان) . وما قطعت بعض المسافة حتى أفلتتِ الحبة مرة أولى وثانية وثالثة ، ولكنها لم تقنَط ولم تتخلَّ عنها . بل ثابرت على العمل بعِناد لا مثيل له .

فناداها الصرار وقد أشفق عليها :

– يا صاحبة العافية ، لوِ اسْترحت قليلا ، لقد أضناك التعب .

– يا صاحب الصوت الرخيم ، لو عدت الى الغناء لشنّفت آذاننا ، وخفّفت عنا مشقّة العمل .

– وهل أطربك صوتي ؟

فابتسمتِ ابْتسامة خبيثة ، قالت :

– أشفقت عليك ان تُضيّع وقتا ثمينا تنقطع فيه عن الغناء .

– لكل عمله ، يا نملة .

– للعمل وقت وللهو وقت ، يا صرار. وأغلب الظنّ عندي انك ستموت جوعا هذا الشتاء .

– ويحك ، هل طرقت بابك مستعطياً ؟

– لو طرَقته لوجدته مفتوحا على مِصراعَيه . » قالت هذا وضحِكت ضِحكة ساخرة وأعرضت عنه (حوّلت

وجهها عنه) ، وتابعت عملها حتى كان لها ما أرادت .
أما هو فاشمأزّ من كلامها وفكّر في نفسه : مسكينة
هذه النملة ، انها تستميت في سبيل حبة قمح .

— ٣ —

توالتِ الأيام وتشابهت . تدأب النملة في العمل
(تستمرّ عليه – تجُدّ فيه) بهِمّة لا يعروها فتور ، ويتمادى
الصرار في الغناء بثبات لا يشوبه مَلل .

ولّى الصيف وانْقضى الخريف وأقبل الشتاء ببرده
وثلجه . أوتِ النملة الى قريتها ، وأقفلت بابها ،
وراحت تنعَم بما كدّسته من خيرات . إنتهت أيام
التعب والعَناء ، وعقَبتها أيام الراحة والمُتعة . اما الصرار
فقبع في ثَقب في جِذع شجرة ليحتمي منَ البرد ، وقدِ
انْقطع عن الغناء . لقد أدبرت أيام البسط والطرب

كانها حُلم ، وتلتها أيام سود كانّ ليس لها انْقضاء .

في صباح يوم من الأيام ، أفاق الغناء من نومه ،
ورفع نظره الى السماء فرآها صافية كالمِرآة المجلوّة .
قال في نفسه : سئِمت الحياة في هذا الجِذع المظلم .
إشتقت الى النور ، الى الشمس ، الى الهواء الطّلْق .
لِمَ لا أذهب الى زيارة صديقتي النملة فأعرِف خبرها ؟
وأنتهزها فرصة لأستقرض منها ما أُصلح به حالي الى
ان يأتي الربيع . لقد نفد زادي او كاد .

أخذ عصاه وهمّ بالذّهاب ، فرنّت في مِسمعه
كلمات الناشطة : لو قرعت بابنا ، يا غناء ، لوجدته
مفتوحاً على مِصراعيه . وطنّت في أذنيه ضِحكتها
الصّفراوية التي نفذت منه الى الصميم ، فآلمته سُخريّتها ،
وعَدل عن فكرته : والله لن ألوذ بتلك النملة المتكبرة ،
ولا طاقة لي بان أتحمّل تهكّمها . أُفضّل الموت على
اللجوء اليها .

ما مضت بضعة أيام حتى بدأ صاحبنا يشعرِ بالجوع . شدّد عزيمته وقرّر الذَّهاب الى النملة . سار في طريقه ، وهو يراوح بين اليأس والأمل . تارة يغلِب عليه التفاؤل (يتوقّع خيرا) فيفكّر في داخله : لا ريب في انها كانت تمزَح عندما قرصتني بكلامها . فالناشطة كريمة الاخلاق ، رَحْبة الصدر ، ستستقبلني استقبال الصديق لصديقه ، وسوف تفتح لي بيتها وقلبها .

وتارة يستولي عليه التشاؤم (يتوقّع شرّا) : أخاف ان تُقفل بابها في وجهي ، فتُلحق بي الذُّلّ والعار مدى الحياة . ما بدا لي منها يدُلّ على سوء أدب ، ووَضاعة أصل . فيثور لشرفه وكرامته ، ويتهدّد ويتوعّد : اذا صدّتني لأهدِمنّ عليها بيتها ، فأدفِنها تحت أنقاضه . سوف أعرّفها من هو الصرار اذا غضِب . ونقر الآلة الموسيقية نقرات عصبية تخالها نشيد الحرب .

وصل الى الباب فقرعه ، فتحته الناشطة فأبصرته .

جمدت مكانها ، وقد تملكتها الدهشة ولم تَفسَح له المَجال ليدخل . امتعضِ الصرار (استاء) ، ولكنه تمالك وتظاهر بالمرح . حيّاها قائلا ، وقدِ ارْتسمت على فمه ابتسامة :

– السلام عليك ، ايتها الصديقة الفاضلة .

– وعليك السلام ، يا صرار» ولبِثت بمكانها . تململ الصرار واضْطرب ، لا تبشّر هذه البرودة بخير ، ولكنه تجلّد ، وتابع :

– برّح بي الشوق الى رؤيتك ، قد طال فراقنا .

– يبدو ذلك على مُحيّاك .

– أراك دهِشت لزيارتي ، فاني أفكّر فيها منذ ايام . لما انْتبهت في هذا الصباح ، وألفيت الطقس صحوا ، والسماء ضاحكة ، اغتنمتها فرصة لآتيك ، وأطّلع على أحوالك .

– أشكر لك هذه البادرة الطيّبة . أحوالي حسنة ، والحمد

لله . وماذا بعد ذلك ؟

– تعلمين ان الشتاء كان قاسيا هذه السنة ، وقدِ انْتابتني بعض المصائب (حدثت لي – ألمّت بي) ، فأصبحت في ضيقة . قلت في نفسي : لو قصَدت صديقتي النملة لأقرضتني ما أسُدّ به حاجتي ، وأردّه لها ضِعفين . فالصرار ليس شحاذا . ويقول المثل : يُعرَف الصديق عند الضيق .

– أراك تنطِق بالأمثال ، يا صرار ، ومن أين لك هذه الحكمة ؟ بحقك قل لي : متى كنت في بَسْطة من العيش حتى تُصبح في ضيقة ؟ ومن قال لك اننا أصدقاء حتى تأتي فتستجديني (تطلب مني صدقة) ؟ لقد غنّيت القصائد وقت الحصائد ، فارْقُصِ الآن لعلك تنسى جوعك وهمومك . » وما أتمّت كلامها حتى أغلقت الباب في وجهه ، وسمِع ضِحكتها الصَّفراوية ترِنّ في أجواء القرية .

صُعِق الصرار عندما سمِع مقالها (خيّل اليه ان صاعقة نزلت به) ، فرقص شارباه غضبا ، وكاد يتميّز من شدّة الغيظ :

– يا لها من وقِحة ساقطة . لقد اجترأت علي ، انا الصرار ! والله ، لأفعلنّ وأُمثّلنّ ! سأسحَقها تحت قدمي ، سأدُقّ عنقها اذا وقعت في قبضتي . »

عاد أدراجه وهو يجُرّ أذيال الخيبة . كيف حملته رجلاه فبلغ بيته ؟ لا يدري . كنت تراه يروح ويجيء في منزله ، وهو يُرغي ويُزبد . لم يذق طعاما في ذلك النهار ولم يَغمَض له جَفن في تلك الليلة ...

– ٤ –

في هذه الأثناء عادتِ النملة الى رفيقاتها ، وهي تقهقه وقالت :

– احزِنّ من طرق بابنا .

– طرق بابنا ؟ ما اعتدنا ان يزورنا احد في فصل الشتاء .

– بلى ، طرق بابنا الصرار الغنّاء . » وراحت تتكسّر وتتلوّى ، وهي تقلّد حركات الصرار ، وتابعت :

– جاء يستعطف ويتوسّل ، يتضرّع ويتذلّل ، ينحني وينتصب ، ويقول : أيتها الناشطة الكريمة ، قد أمضّني الشوق الى رؤيتك (أحرقني) – وهو يعني الجوع طبعاً – اسألك باسم الصداقة التي تربُطني بك ، ان تُقرضيني ما أتقوّت به حتى يأتي فصل الربيع ، وأردّه لك ضِعفين . ولن أنسى صنيعك ما دمت على قيد الحياة ... »

فقاطعتها الملكة ، قالت :

– هل أنهيت تمثيليتك ؟ قولي لنا الآن ماذا فعلت .

– وما تريدينني ان أفعل ؟ طردته كما يُطرَد الكلب الجرِب ، ونصحته بان يتلهّى بالرقص لعله يتناسى جوعه . »

قالت لها الملكة وقد غمّها هذا الكلام :

– أسأت فعلا ، يا ناشطة . انك قاسية القلب ، لا تعرِف الرحمة الى قلبك سبيلا . إياك ان تعاودي . »

خفضتِ الناشطة رأسها ، وقدِ اعتْراها الخجل :

– عُذرا ، يا مليكتنا . حسِبت اني أحسنت صُنعاً . »

قالتِ الملكة ، وهي تخاطب رعيّتها :

– لن نُقفل بابنا في وجه محتاج . »

فأمّن الجميع على كلامها وهتفوا بصوت واحد :

– سمعا وطاعة ، يا مولاتنا . »

ما رأيك ، أيها القارىء العزيز ، هل يتمكّن الصرار من ان يظفر بما يُصلح به حاله ، فيصل الى فصل الربيع سالماً معافى ، ويعود الى الغناء ؟

نأمُل ذلك . سوف يفقِد الربيع من رونقه وبهجته ، اذا خفت صوت الصرار.

- ٥ -

مرّ على الأحداث التي ذكرناها عشرة أيام.

في صباح يوم من أواخر شباط ، لو دخلت الى قرية النمل لوجدتها في حركة محمومة . فالخياطات يخِطن الأثواب المزركشة بخيوط الذهب ، المرصّعة بالحجارة الكريمة . والطاهيات يُحضّرن أشهى ألوان الطعام وأطيب أطباق الحلوى . والعاملات ينصرفن الى تزيين القرية بأبهى معالم الزينة . ما الخبر؟ في العاشر من شهر آذار ، سيتِمّ قِران ابْن الملكة (زواجه) بِبنت ملك القرية المجاورة . فقرية نملتنا الناشطة تُعِدّ للعروسِ استْقبالا منقطِع النظير (لا مثيل له) .

في المساء جمعتِ الملكة وزراءها لتستشيرهم في بعض الأمور . ثم قالت لهم :

– من لنا بجوقة موسيقية تُشنّف آذاننا ، وتُضفي على حفلتنا (تلبسها) رونقا وجمالا ، وتُلهب الحماسة في قلوب الراقصين والراقصات ؟ »

وجم الوزراء وقد تذكّروا ما حدث للصرار . ومن غير الصرار وجوقته يستطيع ان يقوم بهذا العمل؟ فخيّم الصمت على الحَفْل .

ابتسمتِ الملكة ، قالت :

– تفكّرون في نفوسكم : أسأنا الى الصرار ولا يُعقَل ان يُلبّي دعوتنا . والرأي عندي ان نُرسل اليه وفدا من وجوه قريتنا ، ترافقهمُ الناشطة . فيُبدون له أسفنا ، ويلتمسون منه الا يُخيّب رجاءنا . وان صحّ فألي ، فالصرار سيتجاوز عن هفوتنا ، لانه رَحْب الصدر ، كريم الأخلاق . »

ثم الْتفتت الى الناشطة ، وقد لاحظتِ اضْطرابها :

– اسمعي ، يا ناشطة . انك من المقرَّبين الي ، وتعلمين

ما لك عندي من عُلوّ المنزِلة . لقد أخطأت ولا لوم
عليك . ومن لا يخطىء ؟ ولكن اذا أصررت على
خطئك ، وتشبّثت به ، حينئذ تستحقين اللوم والتوبيخ .
ترافقين الوفد وتعتذرين الى الصرار. الا تذكرين ما
يقول المثل : من أقرّ بذنبه لا ذنب عليه ؟ »

قالت الناشطة ، وقد هدأ خاطرها ، وسكن قلقها :

– أمتثل أمرك ، يا مليكتنا . »

في اليوم التالي تألّف وفد من أعيان القرية ، ويمّموا
مقرّ الصرار ، وهم يتساءلون : تُرى ، ماذا يكون
جوابه ؟ هل يتناسى الاساءة التي لحِقت به ؟

وصلوا فقرعوا الباب فدخلوا وسلّموا . ثم تقدّم
رئيس الوفد من الصرار وقال له :

– ان مليكتنا تُهديك السلام » ، وأبلغه الدعوة الى
العرس .

عندئذ دنتِ الناشطة منه ، وقد بدا عليها الارتباك ،

وعلا وجهها الاحْمرار ، وقالت بذلّة :

– خطئت اليك ، يا صرار ، وآسَف عما صدر عني .
فهل لك ان تقلّدني جميلا لا أنساه ، فتصفح عني ؟
فالعفو من شِيَم الكرام . »

اضطرب الصرار عندما رأى الناشطة وتذكّر سوء
أدبها . لوى قليلا (تردّد) ثم أجاب وقد تغلّب على
ما في قلبه من حقد :

– لا عليك ، يا ناشطة . ما مضى قد مضى . » ومدّ
يده وصافحها . فصفّق الحاضرون ، وهتفوا بحياة
الصرار ، وأكبروا نُبْل أخلاقه .

– ٦ –

جمع الصرار جوقته وأمّوا قرية النمل . تقدّمهم
رسول يُبشّر الملكة بنجاح مسعاهم . فخفّت هذه الى
استْقبال الصرار وجوقته ، وأكرمت وفادتهم ، وقادتهم

الى مقصورة فخمة وقالت :

– على الرُّحب والسَّعة ، يا أصدقائي . » وردّدت قول الشاعر :

يا ضيفنا لو زُرتنا لوجدتنا
نحن الضيوف وانت رب المنزل .

ثم تابعت :

– ان موعِد حفلة الزِّفاف في العاشر من شهر آذار . انما أحببت ان أنعَم برؤيتكم ، وأتمتّع بحديثكم ، وأطرَب لِغنائكم ، قبل ان يحين وقت العرس . وقد وكلت الى الناشطة ان تقوم على خدمتكم ، وتسهر على راحتكم . »

خفضت هذه رأسها حياء . فابْتسم لها الصرار وطمأنها ، ثم شكر للملكة حفاوتها . ومنذ ذلك الحين تمكّنت عُرى الصداقة بين الغناء والناشطة .

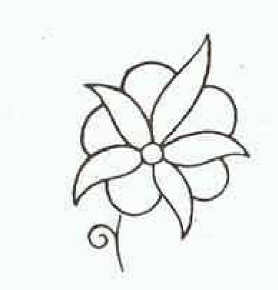
أوى الصرار وجوقته الى غرفتهم ، وأخذوا قِسطا

من الراحة . ثم أتَوهم بأشهى ألوان الطعام وألذّها ، فأكلوا ما طاب لهم . وكان الصرار بأمسّ الحاجة الى الغِذاء والراحة ، لما أصابه من الهُزال : لقد شحَب لونه ، ونحُل جسمه ، وخارت قواه . ولكن لم يمضِ عليه أسبوع حتى تورّدت خداه ، واستْعاد نشاطه وقواه .

وأتى اليوم المنتظر . فكانت حفلة رائعة خلّد التاريخ ذكرها . وهتف الحاضرون بصوت واحد :

« أجدت ، يا صرار ، وأبدعت . »

عندما انْتهتِ الحفلة ، وقدِ استْمرّت أسبوعا كاملا ، همّ الصرار بالانْصراف . فرجته الملكة ان يقيم عندها الى ان يُطلّ الربيع . فرضي شاكراً .



أسئلة

الغناء والناشطة

١ – ماذا أحببت في الصرار وماذا تأخذ عليه ؟
٢ – ماذا احببت في النملة وماذا تأخذ عليها ؟
٣ – ما هي الصفات التي تتحلّى بها الملكة ؟
٤ – لماذا عدل الغناء عن زيارة النملة ، ولماذا غيّر رأيه فيما بعد ؟ (٣)
٥ – هل انجز الصرار ما توعد به النملة – لماذا ؟ (٣)
٦ – ايهما تفضل : خاتمة القصة كما قرأتها هنا ، أم كما وردت عند الشاعر الفرنسي ؟
٧ – لخّص القصة .

القصة الثانية

ابو جعدة والخروف

لا تعتقدنّ انك اذا عملت بنصائح من يتولّون أمرك تكون قد تخليت عن شخصيتك

- ١ -

وهذه قِصّة ثانية ، قصة ابي جعدة والخروف قرقر ، أُهديها اليك ، أيها القارىء الكريم ، وآمُل ان تجد في قراءتها لذة وفائدة . فيُجنّبك مثل الخروف الطائش بعض المتاعب في حياتك ، ولا سيما وانت لا تزال في بَدْء عمرك ، ويحمِلك على ان تُصغي الى والدَيك ومعلميك الذين يتولَّون أمرك (يهتمون بك ، يعتنون بك) .

انت أدرى من غيرك بما يكنّون لك من حبّ (يحفظون لك من حب في قلبهم) ، ويُحيطونك به من عِناية ، فتُوليهم ثقتك ، وتستفيد من خِبرتهم . ولا تعتقدنّ انك ، اذا عمِلت بما يُسدون اليك من نصائح ، تكون قد تخلَّيت عن شخصيتك .

الذئب – وكُنْيته أبو جعدة – حيوان بريّ ، من
أَكلة اللحوم . فهو يتغذّى بلحوم الحيوانات التي يقتنصها .
وهو لئيم الطباع ، يأوي الى الغابات والجبال .

في أثناء الشتاء ، اذا اشتدّ البرد ، وبرّح به الجوع
(عذّبه ، آذاه) ، وتعذّر عليه الصيد في الغابة ، تراه
يغادر مأواه ويسطو على المواشي ، على امل ان يظفَر
بخروف او جَدْي يُشبع به جوعه . ما ان يشعر به سكان
القرية حتى يتصدّوا له بالعصيّ والسلاح (يقاومونه) ،
فيلوذ بالفِرار.

والذئب يستطِيب لحم الخروف الرَّخص ويَهيم
بأكله (يحبّه حبا شديدا) . وشدّ ما تكون فرحته ،
اذا وقع على خروف ، وبطش به ، واحتمله الى الغابة
حيث يلتهمه هادىء البال مطمئنا . فهو عدوّ الخروف
اللّدود (خصمه العنيد الذي يرفض مصالحته) .

* * *

اما الخروف فهو حيوان أهليّ (يعيش مع الانسان ،
أليف ، داجن) ، من أكلة الأعشاب . وهو دَمِث
الأخلاق ، لطيف المعشر ، وقدِ اشْتهر بوداعته . فيقال
خروف او حمل وديع .

كان خروفنا ، أحد بطليَ القصة التي أسرُد لك
وقائعها ، لا يزال حديث السنّ (في أوّل عمره) ،
لم يتجاوزِ التسعة الأشهر. نشأ في كَنَف والدته النعجة
(في حماها) ، يرضَع لبنها ، وينعم بعطفها وحنانها –
لا تعجبْ فالأمّات من الحيوانات يعطِفْن على صغارهنّ ،
ويكتنِفنهم بعنايتهنّ – حتى كبُر واشْتدّ ساعده ، وأصبح
قادرا على السروح معَ القطيع .

خروفنا قرقر ، ولا أظرف منه ! يكسو جسمه
صوف ناعم ، طويل ، ناصع البياض (شديده) ،
وقد بدأ قرناه يذُرّان (يظهران) ، ولم يكتملا بعد .
وهو لعوب مِغناج ، لا بل يحبّ اللعب الى حدّ الولع ،

لا تنسَ انه في عهد الطفولة . لذلك كنت تراه مرة ينطّ ويقفِز في الحقل ، فتعلو أَلْيَته وتهبُط عند كل قفزة ؛ وأخرى يخالط النعاج والكباش ، ويتحرّش بهم ولا يبالون . ولكن ، اذا جاوز الحدّ ، نكزه احدهم بقرنه دون ان يوجعه .

وكانت امه ، من وقت الى آخر ، تُجرّب ان تحمِله على الهدوء والسكينة قائلة :

– ألا تتعَب ؟ لقد كدّك العرق ، استرح قليلا . »

فيراعي خاطرها – قرقر خروف مهذّب – الى حين ، ثم يعود الى ما كان عليه . فهو سعيد كل السعادة ، وكيف يُبدي سعادته الا بالنطّ والقفز ، وبالغناء على طريقته ، عنَيت الثُّغاء .

ولِمَ لا يكون سعيدا ؟ وهو يعيش آمِنا مع رفاقه الخِرفان ، خالي الهمّ ، ممتلىء البطن . يُؤمّن له الراعي طعامه ، ويسهَر على راحته ، ويدفع عنه الأذى مع

صديقه الكلب الأمين . في الصباح يقود قطيعه الى المراعي الخَصِبة ، ويعود به عند المساء الى الحظيرة الآمنة .

– ٢ –

في يوم منَ الأيام ، قاد الراعي على عادته قطيعه الى المرعى ، يرافقه كلبه الأمين . وصل به الى حقل وافر العشب النديّ ، وارف الظلّ الثخين . فراحتِ الأغنام تسرح في ذلك المرج ، وترعى بنَهَم (شراهة) الأعشاب الطريّة ، والارْتياح بادٍ عليها . وما ينقُصها والمرعى خَصِب ، والمورد عَذْب ، وعين الراعي ساهرة لا تغفُل عنها ؟

هل لفت نظرك صاحبنا قرقر؟

منذ بضعة أيام يبدو قلِقا مشغول البال . يقضِم عشبة هنا وعشبة هناك ، ويرفع رأسه ، ويُحدّق الى الجبل ، ويسبَح في عالم الأحلام . فيُخيّل اليك انه

يرى أطيافا أنيسة لا تراها انت (أشباحا صديقة ، أليفة) ، ويسمع أصواتا خفيّة لا تصل الى مِسمعك . تُرى ، ما الذي يشغَل بال خروفنا الظريف ، ويُكدّر عليه صَفْو عيشه ؟ لا شك في انه يحمِل في صدره سرّا مكنونا (مكتوما ، خفيّا) .

جلس الراعي على صخرة تُشرف على الحقل يُسرّح بصره فيما حوله ، ويراقب قطيعه عن كَثَب . فانفرجت أسارير وجهه عندما رأى قطيعه يسرَح ويمرح في ذلك الحقل ، ويرعى بشهية . ففكّر في نفسه : هذه سنة مباركة ، والحمد لله . لقد أتأمت مُعظم النعاج ، ووفَر لبنها ، فتضاعف عدد القطيع وتضاعف دَخله .

أخذ شبّابته ونفخ فيها ، فسالت منها أنغام عذبة ، ردّدت صداها الأودية المجاورة . رفعتِ الكِباش والنعاج والخِراف رؤوسها وأَنصتت ، وقد نسيت ان

تلوك عشبة في فيها . توقّفتِ العصافير عنِ الغِناء وأرهفت سمعها ، ثم اْندفعت في الزقزقة ، وقدِ اسْتفزّها الطرب . تمايلت الزهور البريّة على سوقها ، وقدِ انتشت (سكرت) لسماعها تلك الألحان الساحرة .

وكان الظهر قد أقبل . ساق الراعي القطيع الى ساقية ينساب ماؤها الرقراق (الصافي) بين الأعشاب والحصى ، كانت على مقربة منَ المرج . شربتِ الأغنام حتى ارْتوت ، ثم ربضت في ظلّ الأشجار تجترّ . لقد حان وقت الراحة والقيلولة .

كان قرقر آخِر من ورد الماء مع صديق له من أترابه (من عمره) اسْمه نبهان . شرِب ولبِث بمكانه لا يتزحزح . رفع رأسه وحدّق الى الجبل ، والقلق بادٍ عليه . نظر اليه رفيقه وقال له :

— ما بك ؟ أراك مشغول البال . هلمّ بنا نستظلّ بظل شجرة . »

بقي قرقر شارد العقل ، كانه في حلم ، وَسمِعه
صديقه يتمتم : الجبل ... الغابة ... الحرية ولو لبضع
ساعات ... الهواء العليل ... ثم عاد الى عالمنا ،
والْتفت الى رفيقه ، قال :

– إعذِرْني ، كنت في عالم الأحلام . انت صديق
مُخلص لم أكتُمك سرّا حتى الآن . أتعِد بالاّ تبوح
لأحد بما سأُكاشفك به ؟

تردّد نبهان قليلا ، وقد داخله الارْتباك ، قال :

– وهل تشكّ باخلاصي ؟

– كلا ، يا عزيزي ، انت تعلم اني أثِق بك ثقة عمياء .
منذ أسبوع كلما وردت الماء ، أسمع نداء خفيا أتصوّره
ينبعث من تلك الغابة التي تراها . كانّ شخصا يهمِس
في داخلي : لِمَ لا تقوم بنزهة الى هنا ، أيها الخروف
الظريف؟ فترى عيناك ما لم يقع بصرك عليه من قبلُ ،
وتسمع أذناك ما لم يبلغ مسمعك الى الآن . تأكل

عشبا ولا أطرى ، وتشرب ماء ولا أصفى .

بُهت نبهان لسماعه هذا المقال ، فهَتف :

– وهل تريد ان تفترق عنا ؟

– كلا ، يا صاحبي . انما هي نزهة أقوم بها تدوم
ساعتين او ثلاثا . ثم رفع نظره الى الشمس يُقدّر الوقت :
أعود من رحلتي قبل غروب الشمس .

– لا أنصحك بالقيام بهذه النزهة ، أخاف ان يلحقك
أذى ، او تُلِمّ بك مصيبة .

– تلِمّ بي مصيبة ! أشكر لك هذه العاطفة الأخوية ،
أيها الصديق الحميم . ولكن قل لي ، بحقك ، ما
الذي يثير مخاوفك ، ونحن في وَضَح النهار؟ وهل
تظنّ انه ستزِلّ بي القدم ، فأهوي الى قعر الوادي ؟

– ما هذا قصدت . اما سمعت الشيوخ من عشيرتنا
يحذّرون صغارهم من ان يشرُدوا عنِ القطيع ، ويحظّرون
عليهم ان يتوغلوا في الغابة ، لئلا تدهَمهمُ الذئاب ؟

- كيف لا ! قد سمعت ذلك اكثر من مرة ، وسمعت من شيوخنا أحاديث غيرها . وهل تظن انني أصدّق كل ما يقولون ؟ ولو أردت ان تأخذ بنصائحهم لضاقت بك الدنيا ، وسئمت الحياة . لا تنسَ اننا في فصل الربيع ، تكون الذئاب قد نزحت الى الجبال العالية ... قل اذا شئت ان رغبة مجنونة استبدّت بي (سيطرت عليّ ، تملكتني) ولا مَناص من تحقيقها .

- أراك مصمِّما على الأمر ، ولن يَثنيك أحد عن قصدك . سِرْ على بركة الله . ولكنِ اعْلم ، ان حلّ بك مكروه ، سأموت حزنا عليك . انا أنتظرك بفارغ الصبر في ظلّ هذه الشجرة .

- ٣ -

ودّع قرقر صديقه وسار في طريقه ، يُصعّد في الجبل مُتّبعا مَسيل الماء . يتوقّف بين الآونة والأخرى ليقضِم عشبة ويعُبّ جَرْعة ماء . ثم يُسرّح طَرْفه في

الحقول والوديان ، فتهزّه نَشوة الفخر والاعْتزاز ، فيفكّر في داخله : عندما أعود في المساء سوف يتحلّق حولي القطيع ، من كبيره الى صغيره ، ليستمع الى ما سأرويه له . سيكون عنوان حكايتي : مغامرات قرقر .

انتهى المسير بصاحبنا الى مدخل الغابة . فكان أول ما فعله ان رعى عشبة نديّة ، وكرع جرعة ماء ، وقال : هذا طعام يُؤكل ، وهذا ماء يُشرَب . ثم اعْتلى صخرة ، وتنشق النسيم بملء رئتيه ، وصاح : هذا نسيم ينعش . المرة القادمة سأقوم بمثل هذه الرحلة مع رفيقي نبهان . أجال لحاظه فيما حوله ، فخيّل اليه انه ملك على عرشه . فرفع رأسه وثغا ثُغاء طويلا ، رجّعتِ الجبال والأودية صَداه .

مرّ الوقت بسرعة وأَذِنتِ الساعة بالرحيل .

قبل ان يعود أدراجه (يرجع من حيث أتى) ، نظر الى الجبال والوديان يودّعها ، وهمّ بان يثغو ثُغاء

النصر قبل ان ينصرف . ولاحت منه التفاتة الى مدخل الغابة ، فسُمِرّ مكانه : عينان تقدحان شررا تحدّقان اليه ، أذنان تهتزّان طربا ، خَطْم مستطيل (أنف الحيوان وفمه) يكشّر عن أنياب محدّدة ، ضِحكة ساخرة ترِنّ في أذنيه : هو الذئب . جمد الدم في عروقه ، وارْتجفت قوائمه ، واصطكّت أسنانه ، واختْنق الصوت في حلقه .

* * *

في هذه الأثناء كان نبهان يترقّب عودة صديقه على أحرّ من الجمر ، وقد مضى على ذَهابه اكثر من أربع ساعات . كنت تراه قلقا مهموما ، يروح ويجيء في المرج لا يستقرّ في مكان . ينظر الى الشمس فيراها قد أشرفت على المغيب ، وينظر الى الطريق الذي سار عليه قرقر فلا يُبصر لصديقه من أثر. لقد تأخّر مجيئه ، ليتني لم أوافقه على رأيه . لو أخبرت معلمنا لكان منعه

منَ الذهاب . ولكن عزّ علي ان أُفشي سرّه .

وفيما تجول هذه الخواطر في رأسه ، اذا الراعي يقترب منه ، وقد رابه أمره ، فسأله :

– ما بك ، يا نبهان ؟ أراك مرتبكا مضطربا . اين صديقك قرقر، لِمَ لا أراه الى جانبك ؟

فأخبره الخبر وأضاف :

– حاولت ان أَصدّه عن قصده فلم أُفلح . وأخاف ان ... »

لم يدعه الراعي يُتمّ كلامه وصاح : قرقر ذهب الى الغابة ! يا له من خروف طائش . صفّر لكلبه من ساعته ، وراح يعدو لا يلوي علي شيء ، والكلب يتقدّمه .

ماذا حلّ بصاحبنا قرقر، ايها القارىء العزيز ، هل يتمكّن الراعي وكلبه من نجدته قبل فَوات الأوان ؟

* * *

— ٤ —

تقدّم الذئب ببُطْء منَ الخروف ، وقدِ الْتمعت عيناه بهجة ، وتحلّب لُعابه (سال ريقه) ، وراح يتلمّظ (يخرج لسانه ويمسح به شفتيه) ، فيبدو لك انه يتذوّق لحم الخروف الرخص قبل ان يطعَمه (يأكله) . حيّاه قائلا :

– مساء الخير ، أيها الخروف اللطيف ، ماذا أتى بك الى هنا ؟ أهلاً وسهلاً . »

تلفّت الخروف يَمنة ويَسرة لعله يجد مخرجا ، ولكن دون جدوى . لقد سُدّت في وجهه جميع المسالك ، ووقع في قبضة الذئب . بقي مكانه جامدا لا يتلفّظ بكلمة ، وقد ربط الخوف لسانه ، وأيقن بالهلاك . فقال في نفسه : ويل لي من شقي ! هذه

عاقبة الطيش .

قال الذئب متهكّما :

– ما بالك لا تردّ على سلامي ؟ عهدي بك خروف مهذّب . ألم يرُقْك كلامي ؟ ألا تعلم انك في مملكة أبي جعدة ؟ كيف تتجاسر ان تدوس أرضا انا سيدها بغير إذن ؟

قال الخروف متلعثماً :

– رح ... رحماك ، يا سيدي الذئب ، لقد ضللت الطريق فأوصلتني خطاي الى هذا المكان . لا يغرُبنّ عن بالك اني خروف طائش في مستهلّ حياتي . اسمح لي بان أَلحق برفاقي ، وأعدك وعدا قاطعا بان اكون أرفع ذوقاً واكثر فطنة في المستقبل ، فلا أطأ مملكتك بدون اسْتئذان .

قهقه الذئب قهقهة خبيثة ، قال :

– تلحق برفاقك ! لا شك في انك تمزح . وما يمنع

ان تقضي الليلة في ضيافتي ، فأُولم لك وليمة لم تشهد مثلها في حياتك ؟

– يا حبّذا ! ولكن ينبغي أن أعود لئلا يشتغل بال اهلي اذا طال غيابي . انا وحيد والدتي فارْحم قلبها .

– وانا قد نفد زادي . كنت دعوت أحد أصدقائي الى العَشاء ، ووعدته بأكلة شهية . جئت في الوقت المناسب غنيمة باردة . هل من أمنية تُبديها ، او وصيّة توصي بها قبل ان تموت ؟

– قبل ان ... واحسرتاه ! لهفي عليك ، يا امي التعِسة !

– كفاك ثرثرة . »

أطرق قرقر رأسه يفكّر في حيلة ينجو بها من الذئب . وقال في نفسه : لا ريب بان صديقي نبهان قد أخبر الراعي بخبري بعد ان طال غيابي . قد يكون الراعي وكلبه في طريقهما الى هنا . المهمّ ان اكسِب بعض الوقت ... من يدري ؟

رفع رأسه وقال بذلّة :

– سيدي الذئب ، اصنع بي ما تشاء . أسألك واحدة ، الا تجمع علي الجوع والعطش والقتل . هل تأذن لي بان أسُدّ جوعي بقليل من هذه الأعشاب الطرية ، وأُروي ظمئي من هذا الماء العذب ؟ حينئذ أموت غير آسِف على شيء من هذه الدنيا ؟

– أجبتك الى طلبك ، فكل واشْرب ما طاب لك .

– ٥ –

راح الخروف يقضِم عشبة من هنا ، ويرعى عشبة من هناك ، ثم يكرع جَرعة ماء . ويتوقّف قليلا ليندُب سوء بَخته بصوت متهدّج :

– لهفي عليك ، ايها الخروف الصغير ، ستعاجلك المنيّة قبل ان تتمتّع بأطايب الحياة .

ويعود فيأكل بعض الأعشاب ، ويشرب قليلا من الماء ، ويرفع صوته قائلا :

– آه ! يا أمّاه ! ستعرفين الثُّكْل ، وسوف ينفطر قلبك على وحيدك وفَلْذة كَبِدك .

وللمرة الثالثة يعود فيتشاغل بالأكل والشرب وهو يتساءل : ترى ، هل يصل معلمي في الوقت المناسب ؟

كان الذئب ينظر اليه ، وهو يهزّ رأسه ، وأخيرا انْتهره قائلاً :

– لقد عيل صبري ، اما انتهيت ؟ » وهمّ بالهجوم عليه .

وفجأة دوّى نُباح كلب ارْتجّت له الوادي . فهم الذئب عندئذ انه ضيّع فرصة ثمينة ، وان هذا الخروف اللعين خدعه ، فلاذ بالفِرار.

وصل الكلب وهو يلهَث منَ التعب . وقف أمام الخروف وحدجه بنظره وهزّ رأسه كانه يقول : « أُهنّئك بهذا العمل الذي قمت به . » اما الراعي فوبّخه على طيشه وقال له : « يا مقصوف العمر ، لولا صديقك

نبهان ، لكنت الآن في بطن الذئب . »

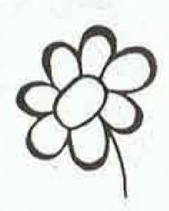
حنى الخروف رأسه خجلا ، وقد أدرك خطأه .

ويقول الراعي عندما يروي هذه القصة : « شاهدت دمعتين تترقرقان في مقلتيه . » ثم احْتمله على مَنكِبَيه وعاد به الى الحظيرة .

اما صاحبنا فقد نسي ان يَروي لرفاقه مغامرات قرقر. فقبع في زاوية من زوايا الزريبة ، وهو يكاد لا يصدّق انه لا يزال على قيد الحياة . ربض نبهان الى جانبه وهمس في أذنه :

– انا هنا ، يا عزيزي .

– شكرا . » وما لبثا ان غرِقا في سُبات عميق .



أسئلة

ابو جعدة والخروف

١ – ماذا يصنع الذئب في الشتاء ؟

٢ – قابل بين الصديقين قرقر ونبهان : ايهما تفضل – لماذا ؟

٣ – ما الذي يشغَل بال قرقر ؟ (٢)

٤ – هل يراودك حلم ما جميل – ما هو ؟

٥ – لماذا لم يبطش الذئب بالخروف فورا ؟

٦ – انسخ بعض جمل تدل على سخرية الذئب (٤)

٧ – اي مشهد اثر فيك – لماذا ؟

٨ – ايهما تفضل : خاتمة القصة كما قرأتها هنا ، ام كما أوردها الشاعر الفرنسي – لماذا ؟

– انسخ بعض تعابير اعجبتك .

القصة الثالثة

القرد والغيلم

مضت خمس سنوات على تنصيب الملك قردون كان في خلالها مثال الحاكم النزيه العادل . لا يغضي على ظلامة ولا يغرّه مال ، لا يرهب قويا ولا يحابي قريبا .

- ١ -

تداعى جماعة من القرود - والقرود يعيشون جماعات ، لان القرد حيوان اجتماعي بمقدار - الى عقد اجتماع ليتداولوا (يبحثون) في شؤونهم الخاصة . لبّى الدعوة المئات من افراد الجماعة ، ولم يتوانَ احد عن الحضور ، الا لأسباب قاهرة . وتمّ الاجتماع في بقعة ما من الارض ، تعدّدت أشجارها وتنوّعت . فالقرود يسكُنون في الغابات ، وغالبا ما يستقرّون في الأشجار .

في اليوم المعين كنت ترى أصحابنا يرِدون من كل صوب (جهة) ، زَرافات وفُرادى ، وقد تخلّوا عن اعمالهم اليومية ليشتركوا بذلك المؤتمر . ومن تعذّر عليه المجيء ، استناب من يقوم مقامه ، ويتكلّمْ باسْمه .

غصّ المكان بالمتوافدين ، وقد أربى عددهم على الخمس
مائة (زاد على) . فتوزّعوا هنا وهناك ، منهم من
ربَض عند جِذع شجرة ، ومنهم من اعْتلى عمدا .

كان الفنّيون ، قبل موعد الاجتماع ، قد جهزّوا
الموضع بمكبرات الصوت ، وكان بعض المتطوّعين قد
أقاموا معالم الزينة . انتدب القرود أحد أعيانهم ليعرِض
على الحاضرين ما من أجله اجْتمعوا . تقدّم القرد المنتدَب
من المذياع بخطى واسعة . وهو كهل طويل الذنب ،
قصير الخطم ، أفطس الانف ، ممتلىء الجسم ، نحيف
الاعضاء ، يُحيط بوجهه هالة من الشعر تشبه الى حدّ
لُبدة الاسد . فخيّم على الجمع صمت عميق .

وقف الزعيم أمام المذياع ، ورفع صوته قال :
– يا إخوان ! نحن أمّة وافرة العدد ، متفرِّقة الكلمة ،
مشتّتة الشمل . كثيرا ما تحصُل المشاحنات بيننا
(الخلافات) ، وليس لنا مرجعٍ نحتكم اليه ، وغالبا

ما يُعتدى علينا ، وليس لنا قائد نفزَع اليه (نلجأ
اليه) . فلِمَ لا نقيم ملكا علينا ، يتولّى أمورنا ، ويجمَع
كلمتنا ، ويلُمّ شملنا ، ويقضي بالعدل بيننا ، ويحمي
تخومنا من هجمات الاعداء ؟ نحن شعب مسالم لا
يريد بأحد شرّا . ولكن نحن أمة لها كرامتها ومنزِلتها ،
فلا نرضى بأن تُمتهن تلك الكرامة ، ولا نقبل بان
يُحطّ من تلك المنزلة . أيجوز ان نبقى مكتوفي الايدي ،
بينما يسومنا جيراننا الخَسف والجَور ، ويُلبسوننا ثوب
الذلّ والعار ؟ »

فعلا التصفيق والهتاف :
– أحسنت ! أحسنت ! لن يجترىء أحد علينا بعد
الآن . » وسرت في الجمع زمجرة ارْتجّت لها أرجاء
الغابة .

لوّح الخطيب بيده يلتمس السكوت ، وتابع :
– وهذا الملك الذي تنصّبونه عليكم ، لكم ان تختاروه

للمرة الأولى . اما فيما بعد فان ابْنه سوف يملِك مكانه ، لان المُلك وراثي . وقبل ان يقع اختيارْكم على أحد ، ألفِت نظركم الى الصفات التي يجب 'ان يتحلّى بها الملك من حنكة ووقار ، من حسن الأُحدوثة وطيب المَحْتِد (الأصل) ، من سُموّ أخلاق وكُبر نفس ...

« وصِفة الصفات التي ينبغي ان يتزيّن بها ، هي النزاهة والتجرّد ، والبعد عن الأَثرة والطمع . والا تحكّم الملك في رقابكم ، وأذلّكم واستعبدكم ، وابْتزّ أموالكم ، ليترفّه بها هو وذووه . هل تريدون ان تنتخبوا الملك في هذا الاجتماع ، فلا تجشّموا أنفسكم مشقة السفر مرة أخرى ؟ »

سُمع في بعض الجهات دمدمة ، وارتفعت من هنا وهناك أصوات ، واذا بقرد ، في منتصف عمره ، يفصُل عن الجماعة ، ويتقدّم من المذياع ويقول :

– أطلب الكلام . » فساد الصمت من جديد .

فتح الخطيب الجديد فاه ، قال :

– باسْم الشعب – وجرتِ العادة ان يتكلّم أصحاب الأغراض الخاصة باسم الشعب – أطلب ان نُرجىء الانتخاب (نؤجّله) الى اجتماع تالٍ ، ليتسنّى لنا ان نتشاور فيما بيننا ، ولا سيما وان الذي سيتبوّأ العرش ، سوف يورث الملك من بعده بنيه وأحفاده ... الى ما لا نهاية له . أرتئي ان نفتح في هذه الجلسة باب الترشيح ، ومن يصبو الى الملك فليرشّح نفسه . »

كثر اللغط ، منهم من يُحبّذ الفكرة ، ومنهم من يستنكرها . وبعد أخْذ وردّ ، قر الرأي على تأجيل الانْتخاب لمدة أسبوعين . والّفوا لَجنة من ثلاثة أعضاء ، لتأخذ علما بأسماء المرشّحين ، وتُشرف على عملية الانتخاب . فتقدم الخطيبان من اللجنة المذكورة ، وأعلنا ترشيحهما . سجّلتِ اللجنة اسْميهما ، وارفضّ الاجتماع .

— ٢ —

لن أحدّثك مطوّلا ، أيها القارىء الفهيم ، عنِ الحملة الانتخابية التي قام بها القِردة ، ولا عنِ الولائم التي أولمها المرشّحان ، ليستميلا بواسطتها أصوات الناخبين . يكفيك ان تعرِف انها كانت حملة تحمّس فيها أنصار الفريقين ، وداروا على بيوت الناخبين بيتا بيتا . وكل منهم يُشيد بصفات مرشحه الفريدة ، ويتغنّى بمزاياه الحميدة ، ويُغدق الوعود ، ويلوّح بالمشاريع التي سيقوم بها ، اذا قُدّر له الفوز .

ولكن ، والحقّ يقال ، فالحملة المذكورة ، بالرغم من الحماسة التي تميّزت بها ، كانت نزيهة شريفة . فلم يسمح احد لنفسه من أتباع الفريقين ، ان يغتاب الفريق الآخر (يذكره بسوء) ، او يُشنّع في صيته .

ولا فكّر أحد بان يُغري الناخبين بوظيفة ، او يشتري أصواتهم بمال . صدّق او لا تصدّق ، لم يُسمَع طلق ناري واحد . يمكنك اذن ان تهنّىء الأفراد بروحهم الرياضية ، ورحابة صدرهم ، وسموّ أخلاقهم ، وعراقتهم في الديموقراطية الحقة

وأتى يوم الاقتراع .

في الاجل المضروب أمّ الناخبون المكان المحدّد دون ان يتخلّف احد ، الا لأسباب وجيهة ، عن القيام بواجبه الوطني . طبعا للقرود طريقتهم الخاصة في الانتخاب . لم يستعينوا ، كما لا يخفى عليك ، بالغرفة العازلة ، ولا لجأوا الى الكتابة ، ثم الى فرز الأصوات ، بل عمَدوا الى طريقة طريفة بسيطة .

وقف المرشحان جنبا الى جنب ، بعد ان تصافحا . ثم اصْطفّ القِردة ، كل منهم وراء مرشحه الواحد إزاء الآخر ، فامتد الصفّان مئات من الأمتار . وعندما

احْتلّ كل من الناخبين المركز الذي اصْطفاه بملء
حريته ، تقدّمتِ اللجنة التي ذكرناها آنفا ، واستعرضتِ
الصفين . وأعلنت فوز المرشح الذي كان صفه أطول
من صف منافسه . وهكذا لم تحتج اللجنة حتى الى
عدّ الأصوات .

حينئذ الْتفت المرشح الفاشل الى مناوئه المرشح
الفائز ، وصافحه وهنّأه . فقابل الشعب هذه البادرة
الطيبة بعاصفة من التصفيق . ثم ارْتفعتِ الزغاريد
حتى ملأت الفضاء ، وعلا الهتاف حتى شقّ عَنان
السماء (اديمها – ما ظهر لك منها) : ليعشِ الملك .
وانتهتِ الحفلة بالنشيد الوطني ، وتفرّق الجمع .

لن أذكر لك الشيء الكثير عن حفلة التتويج ،
ولا عنِ الوفود التي تعاقبت لتحيّي الملك الجديد ،
وتدعو له بطول العمر ودوام العزّ والسلطان . ولا حاجة
الى القول ، ان الملك أحسن استْقبال المهنّئين ، وأكرم

وِفادتهم ، ووعدهم بان يسوس الرعية سياسة حكيمة .
فيُنصف المظلوم ، ويأخذ للضعيف من القوي ،
وينشر المحبة والوئام ، ويحدَب على الطبقة الكادحة ،
ويؤمّن شيخوخة لائقة للعُجّز ...

وكان الزائرون ينقلبون الى بيوتهم شاكرين حامدين ،
يلهَجون بذكر مليكهم ، ويُثنون على عطفه ، ويُطرون
دماثة أخلاقه ، ويمتدحون نَخوته ومُروءته .

– ٣ –

تتالتِ الشهور والسنون ، ووفى الملك بوعده .
فاستتبّ الأمن في البلاد ، وشاع الخير ، وعمّ الرخاء .
فأصبحت مملكة قردون – وهو اسم الملك – قِبلة
أنظار الأقطار المجاورة . فتقرّب منه أمراؤها ، وخطب
وُدّه ملوكها ، وهاب سطوته من كانت نفسه تحدّثه
بالاعتداء عليها .

مضت خمس سنوات على تنصيب الملك قردون ، كان في خِلالها مِثال الحاكم النزيه العادل . لا يُغضي على ظلامة ولا يغُرّه مال ، لا يرهَب قويا ولا يحابي قريبا . فالقانون يعلو ولا يُعلى عليه ، والشريعة تُطبّق على الجميع ، حتى على أقرب أقرباء الملك . فلا تنفع وَساطة زعيم ، ولا تُجدي رَشوة ثريّ .

طعَن الملك في السنّ ، وبدأت المتاعب تتوالى . أحاط بالملك زُمرة من أصحاب الغايات والمطامع ، وراحوا يتملّقونه ويخادعونه ، ويتظاهرون بالغيرة على المصلحة العامة ، وينفُثون سمّهم بحقّ من لا ينهَج نهجهم ، او يحاول ان يقِف عَقبة في طريقهم . فأعارهم الملك أذنا صاغية ، وصار لا يصدُر الا عن رأيهم ، ولا يقطَع أمرا الا باشارتهم . فأصبح آلة طيّعة بين أيديهم ، يسيرونه وَفْقا لشهواتهم ومآربهم .

حار أصدقاء الملك الأُمناء في أمرهم ، وتساءلوا

عما حدا بجلالته ليسلُك ذلك المسلَك المُشين . فمنهم من يعزو الأمر الى الشيخوخة : لقد وهَنت إرادة الملك ، وفترَت همّته ، وتثبّطت عزيمته ، فغدا فريسة هينة للخُبثاء والمنافقين . ومنهم من يعتقد ان مهمّة الحكم شائكة ، وقليلون هم الذين يضطلعون بها (ينهضون بها) ، ولا تأخذهم نَشوة السلطان ، ولا يستعبدهم إغراء المال . وعبثا عمل أخصّاؤه على ان يعدِلوا به عن الخُطّة التي ينتهجها فلم يُفلحوا . فسرى الفساد في الرعية ، وسادت الرشوة ، واضطرب حبل الأمن ، واسْتغلّ القوي الضعيف ، وامْتهن الصُّعلوك الشريف . وبكلمة واحدة انْتشرتِ الفوضى في البلاد .

تنادى فريق من شيوخ المملكة وكهولها وشبانها وقوادها ، وائتمروا فيما بينهم (تشاوروا) ، وقلّبوا وجوه الرأي ، ليجدوا مخرجا من الورطة التي تردّت فيها المملكة (سقطت فيها) .

نهض أحدهم قال :

– أيها السادة . اني من أخصاء الملك ، وقدِ استوزرني منذ بداية عهده . ولا أظنّ ان أحدا منكم يُنكر عليّ امرا في تدبير شؤون المملكة . أقول ، والألم يحزُّ في نفسي ، ان مليكنا قد هرِم ، وليس يقوى على الملك ولا يصلُح له . لقد فقد في سنة واحدة ما كان قد أحرزه في سنين . وقد حاولت جُهدي ، مع رَهْط من المقرَّبين اليه ، ان ننصَحه فلم ينتصح ، وان نردَعه فلم يرتدع ، بلِ انْقاد الى بعض الأشرار ، وتمادى في غيّه ، وضيّع ثقة الرعية فيه . واذا دامتِ الحالة على ما هي عليه ، فنحن نسير الى الدَّمار . وبما ان النُّصح لم ينجَع فيه ، فما بقي أمامنا الا ان نُنزله عن عرشه ، ونملّك غيره مكانه . »

أمّن الحاضرون على كلامه الا واحدا وقف وقال :

– أوافق على ما قال الوزير ، بيدَ اني أطلب ، علاوة

على ذلك ، محاكمة الملك ، لانه خان الشعب ، وعبث بمقدّرات المملكة . فيكون عِبرة لمن يأتي الى الحكم بعده ، حتى اذا حدثته نفسه بالسوء ، فهم ان الشعب واقف له بالمِرصاد ، وسوف يحاسبه عن كل شاردة وواردة . »

أجاب الوزير ، قال :

– لا أريد ان أفرِض وِجهة نظري عليكم ، بل أُدلي برأيي ، ويرجع اليكم ان تناقشوه فتحبّذوه او تنبُذوه . لا أُنكر انه يعِزّ علي لأسباب عاطفية – رافقت الملك في سني حكمه – ان أرى مليكنا ماثلا أمام المحاكم . ولكني لا أدع العاطفة تسيطر علي ، بل سأُحكّم العقل .

« ان ما صدر عن جَلالة الملك في هذه السنة لا مبرّر له ، ولا يُقرّه عاقل ، وقد أثار دهشتنا واسْتياءنا . وتساءلنا اكثر من مرة ، كيف تحوّل ذلك النزيه العادل الى ملك طمّاع ظالم ، وكيف انْقلب ذلك

الملك الحزوم الى ملك ضعيف متخاذل ، فغدا أُلعوبة في أيدي نفر من السافلين الساقطين . ومع ذلك أسألكم ، ايها السادة : هل يجوز ان نتناسى سنين من حكم لا غُبار عليه ، وهل تغطّي سيّئات عام واحد على حسنات أعوام ؟

« يصعُب علي وعليكم ان نُجرّر أمام القضاء مليكا كان عُنوان فخرنا واعتزازنا . فالرّأي عندي ان نخلَعه عن العرش ، ونصادر أمواله التي اغتصبها من الرعية ظلماً . وأغلب الظنّ عندي انه سيغادر الوطن من تِلقاء نفسه ، فلا يُطيق البقاء بين جماعة يتهامسون كلما مرّ بهم : هذا هو الملك المخلوع . »

أطرق السامعون برهة ، وقد أثّر فيهم كلام الوزير ، ثم قالوا :

– استصوبنا رأيك وسنأخذ به . »

وهكذا كان . ثاروا بالملك وعزلوه ، واستولَوا

على الأموال التي جمعها في السنة الاخيرة من حكمه . ارتاح الجميع الى هذا التدبير الحكيم ، وأُسدل الستار على الماضي ، واختاروا خلفا له وبوّؤوه العرش .

– ٤ –

« راحت السَّكرة وأتت الفِكرة » ، كما يقول المثل السائر .

ضاقتِ المملكة بالملك الخليع . كيف يهنأ له العيش بين قوم كان فيهم السيّد المُطاع ، وقد بات الآن من المنبوذين ؟ فليس أمامه الا الهجرة . سيقصِد بلدا بعيدا يواريه عن أنظار معارفه ومواطنيه ، حيث يطويه النسيان .

هام الملك المعزول على وجهه ، والهمّ ينتهبه . ما هذه الحالة التي وصل اليها ؟ ذُلّ بعد عِزّ ، وفقر بعد غنى ، وبؤس بعد سعادة . أصبح نُفاية الناس ،

بعد ان كان خِيارهم . تحوّل عنه أصحابه ونبذوه ، وفي الأمس القريب ، كانوا يحفّون به ويصانعونه ويبغون رضاه ..ولِمَ هذا كله ؟

« لقدِ استسلمت الى نفر رَعاع استخدموني في سبيل مطامعهم ، وأعرضت عن أناس آزروني (عاونوني) في الحكم ، وأخلصوا لي الخدمة . لماذا لم أتنحَّ لما وجدت نفسي عاجزا عن النهوض بمهام الملك ؟ إذن لكنت الآن مرفوع الرأس ، عزيز النفس ، يُحيطني شعبي بالحفاوة والاجلال ، ولكانوا ، اذا ما رأوني ، يشيرون الي بالأصابع ، ليقولوا : هذا هو الملك المثالي ، بدلاً من ان يهُزّوا رؤوسهم ، ويقلِبوا شِفاههم ، ويُشيحوا عني بأبصارهم ويقولوا : هذا هو الملك المخلوع . »

لقد ندِم على ما فرط منه ، ولات ساعة مَندم . لقد فات الأوان .

قادته خطاه الى بقعة أقفرت من السكان ، فيها بحيرة انْتشرت على جانبها الأشجار ، من مثمرة وغير مثمرة . فأزمع ، وكان الجوع والعطش قد أجهداه ، ان يقيم فيها ليقضي ما تبقّى له من العمر .

تسلّق شجرة إجاص ، وراح يأكل من ثمرها حتى أخمد جوعه ، ثم غرِق في نوم يُريح جسمه ، وينسيه مُصابه . مضى عليه بضعة أيام على هذه الحالة ، يتنقّل من شجرة الى أختها ، فطاب له المَناخ وسلي بعض الشيء بليّته ، ولكن الوَحشة ثقُلت عليه .

رقي ذات يوم شجرة تين على حافة البحيرة ، وراح يجني من ثمارها ويأكل ، ويتنقل من عمد الى عمد ، ويسرّح أبصاره فيما حوله . فوقع نظره على البحيرة ، فشاهد فيها حركة غير عادية ألهته عن الاكل ، وسقطت التينة التي بيده في الماء ، فكان لها وقع أعجبه . وبصر بغيلم يُقبل على الثمرة ويأكلها .

ويبدو انه استْساغها (استطابها) ، فرفع رأسه نحو الشجرة ، كانه يتساءل من أين هبطت عليه تلك الثميرة اللذيذة ، واذا بالقرد يتفرّس فيه .

التمعت عينا القردِ بشرا ، وقد سئِم الوَحدة ، واستْأنس بالزائر الغريب ، فما كان منه الا ان رمى بتينة أخرى في الماء فالْتهمها الغيلم . وتتابعتِ الحركة مدة من الوقت ، حتى اذا شبع الغيلم خرج من الماء ، ونزل السعدان من الشجرة ليحتفي بالضيف الكريم . وكانت هذه اللُّقيا السعيدة فاتحة عهد صداقة . فرح قردون بهذا الرفيق الذي سوف يُسرّي عنه ويُؤنس وَحشته . وحلا المُقام للغيلمَ فاستْوطن تلك البقعة ، ونسي من خلّف وراءه .

— ٥ —

دخلت على السُّلحفاة جارتها ، فرأتها قلقة حزينة ، فاستْفسرتها السبب :

– ما بك ، يا جارة ؟ أراك مرتبكة كئيبة ، هل حدث ما يُكدّر خاطرك ؟

– والله ، يا جارة ، انا مشغولة البال بزوجي . لقد هجَر البيت منذ شهر ونيّف ولم يعد ، وانْقطعت عني أخباره . أخاف ان يكون تعرّض لمكروه .

– أهذا ما يُقلقك ؟ نمى الي (بلغني) ان زوجك مقيم على ساحل بحيرة مع قرد الْتقاه هناك . وهو في تمام الصحة ، على ما قيل لي ، بادي السرور ، خالي البال .

– ماذا تقولين ؟

– لا أقول غير الحق .

– ان زوجي لمجنون . كيف يتخلّى عني كل هذه المدة ، ولا يُنفذ الي رسولا يُطمئنني الى سلامته ؟ ما أقسى قلبه ! يدعني فريسة الحزن والغمّ لا تأخذه بي شفقة ، بينما يقضي أياما حُلوة هانئة . وبصحبة من ؟ بصحبة قرد ! سخِنت عينه ، ماذا استْحسن من القرد حتى راقت

له عِشرته ؟

– هو بالأمر أدرى . اما انا فيصعُب علي الجواب .

– ما العمل ، يا جارة ؟ انصحيني . لقد أذابني الشوق وأحرقني الهُيام .

– رأيي ان ... » وسكتت .

– ما بالك أحجمت عن الكلام ؟ أستحلفك بكل عزيز لديك ان تُفصحي عما يجول في خاطرك .

– أخاف ان أجرَح شعورك . انا لست بزوجته ، وقد أثارت تصرّفاته حفيظتي .

– بِمَ تُشيرين علي ؟ قولي ما بدا لك ، وكوني على ثقة من اني أتقبّل كلامك .

– شريعتي هي : العين بالعين والسنّ بالسن . تناساك زوجك فتناسَيه . واذا ما عنّ له ان يؤوب ، فأقفلي بابك في وجهه .

– بئس النصيحة نصيحتك ، انك تطلبين المُحال .

كيف أتناسى سنين عذبة عشتها معه . لا ، قلبي لا يطاوعني .

– بقي أمر واحد : انِ استْطعت ان تحتالي للقرد فتُهلكيه فافعلي . فانّ القرد ان هلك أقام عندك زوجك .

– هذا رأي مصيب وقد تبنّيته . فكّري بطريقة نبلغ بها مأرَبنا . »

– ٦ –

كان القرد والغيلم يتنزهان بين الأشجار يتبادلان الحديث . فيروي قردون لصديقه ، وقد اطمأن اليه ، واستوثقت عُرى الصداقة بينهما ، سيرة حياته ، وكيف تأتّى له ان يملِك حقبة من الزمن ، وما آلت اليه حالته في النهاية . فيؤاسيه الغيلم قائلا :

– هذه هي الدنيا ، يا صاحبي ، يوم علينا ويوم لنا . وهل من حالة تدوم ؟ وهل من يأمَن تصاريف الدهر ؟

فاشْكر الله على سلامتك .

- لا أفتُر أشكره كل ساعة ، وأستغفره مما فرط مني . لا أُنكر انني فوجئت بما حدث ، لا بل صُدِمت صدمة قوية كادت تذهب بعقلي . ولكني تجلّدت وآثرت المنفى على البقاء في وطني . فانْتهى بي المسير الى هذه البقعة ، فأعجبتني فاسْتوطنتها .

« إستوحشت من المكان في بادىء الامر - لا أنيس ولا جليس - فاسْتولى علي الضجر ، ان لم أقلِ اليأس ، وهدّتني الهموم ، وكنت على وشك الرحيل الى مكان آهِل . لكن الله رأف بي فأوفدك الي . ولا تسل عن ابْتهاجي لما وقع بصري عليك . فانني أحببتك قبل ان أتعرّف اليك ، وأحفَظ لك الجميل في قلبي ، لانك فرّجت كُربتي وكشَفت عني همومي .

- هذا لسان حالي ، أيها الصديق الوفي . أعجزُ عن ان أعبر لك عما يخالجني من الشكر والامتنان ، لما

لقيت عندك من الحفاوة والاخلاص . » ثم توقّف عن الكلام ، وقد اكْمدّ وجهه ، وبدا عليه القلق والاضطراب .

- ما بك ؟ أرى حالتك تغيّرت ، هل ساءك كلامي ؟

- مَعاذ الله ! ليس في كلامك ما يسوءني . لكن ما أوردت من ذكريات حياتك هيّج أشجاني . لم أطلعك ، على ما أظن ، ان لي زوجة غادرتها منذ اكثر من شهر ، وقطعت عنها أخباري . ولا إخالها الا تنتظر قدومي على أحرّ من الجمر ، وأرى لزاما علي ان أذهب لأتفقّدها . »

وجَم القرد ، وقد وقع عليه هذا الخبر وقوع الصاعقة . فزفر زفرة عميقة وقال :

- واحسرتاه ! » واسْتند الى جِذع شجرة ، وقد اصْفرّ لونه وأوشك ان يُغمى عليه .

راع هذا المشهد الغيلم ، فراح يلاطف صديقه ويُطيّب خاطره :

– لا تجزَع ، يا خليلي ، فان غِيابي لن يطول . وأعدك وعداً باتّا بانني سأعود اليك بأسرع وقت . سأحمِل زوجتي على ان ترافقني الى هذا المكان فنستقرّ فيه ، وان رفضت ، سأرجع اليك فأقضي برُفقتك البقية الباقية من عمري .

– أوَ تفعل هذا ؟

– أُقسم لك بشرفي انني سأبَرّ بوعدي .

فانْتعشت روح قردون وتألّق وجهه (أضاء) :

– رافقتك السلامة ، يا خير الخلاّن ، وعلى أمل اللقاء العاجل . »

– ٧ –

دخلت على السلحفاة جارتها مثل المجنونة ، قالت :

– لك البُشرى ! عجّلي ! عجلي !

– ما الخبر ؟

– زوجك في طريق العودة الى البيت ، وقد يصل بين ساعة وأخرى .

– زوجي في طريق العودة ! أحسن الله بشارتك . من أعلمك بالخبر ؟

– دعيني من أسئلتك الآن فلا تُضيعي الوقت . علينا ان نُنفّذ الخُطّة التي رسمناها قبل ان يَفِد الغيلم .

– صدقتِ . »

هرعت الزوجة الى فِراشها ، وأقبلت جارتها تمسَح وجهها بالزعفران حتى صفّرته ، فيتوّهم الناظر اليها انها في النّزع .

أقبل الغيلم ضاحكا مسروراً ، وقبل ان يدخل ، صاح بزوجته مداعباً :

– اما تُقت الي ، يا زوجتي العزيزة ؟ عدت اليك بعد غياب طالت مدته . »

فلم يلقَ جواباً ، ولم تهبّ امرأته لاستقباله كما كان يتوقع ، فدخل . ما ان وطىء عتبة الباب حتى سمرّته الدهشة في مكانه : زوجته طريحة الفراش . أسرع اليها ما استطاع الى ذلك سبيلاً :

– يا حِبُّ ، كيف انت (يا حبيبتي) ؟ ..» وعقد الخوف لسانه عندما تفرّس فيها : زوجته تعلو وجهها صفرة الموت ، وهي زائغة البصر ، هزيلة الجسم ، لا تقوى على الحركة ، ولا تقدر على الكلام ، تئن أنات خافتة ، تحسَب انها ستلفِظ نَفَسها الأخير عند كل أنّة . أبلغ بها المرض هذا الحدّ ؟

والتفت فأبصر جارتها فسألها :

– ماذا حلّ بها وكيف صارت الى هذه الحالة ؟ اما كان بوسعك ان تبعثي بطلبي عندما ألم بها المرض ؟

– واين كنت حتى أبعث بطلبك ؟ تركت البيت منذ اكثر من شهر ، وقطعت عنا أخبارك . والآن دفعتك

قحتك الى ان تلومني لانني اهتممت بزوجتك في أثناء غيابك ...

فقاطعها قائلاً :

– إعذِريني ، يا جارة . حاشى لي ان ألومك . فالحزن أفقدني رُشدي ، فلا أعقِل ما أقول . بربك ، قصّي علي القصة . متى مرِضت ؟ وهل استدعيت الطبيب ؟ ألم يصف لها دواء ؟ ما رأيه في مرضها ؟ يبدو لي انها تُحتضَر ...

– أُترك لي مجالا للكلام حتى أُطلعك على واقع ما حدث . منذ أسبوع شعرت زوجتك بصُداع ، فأشرت عليها ان تخلُد الى الراحة ففعلت ، وقمت على خدمتها . عند المساء كانت حالتها قد تحسّنت ، لكني لم أشأ ان أدعها وحدها ، فبتّ ليلتي عندها . في الصباح عاودها الألم واشتدّ . حضر الطبيب وفحصها ووصف لها دواء ، ولكن بدون جدوى . كان ألمها يتزايد ويتفاقم .

عادها الطبيب مرة ثانية وثالثة وأخيراً قال : ان مرضها عُضال ، ودواؤها صعب المَنال ، لذلك لا أمل بشِفائها البتة .

– ما هو هذا الدواء ؟ سآتيها به ولو كان وراء سبعة بحور .

– مسكين انت ، يا غيلم . دواؤها ليس وراء البحار ، ولكن لا قدرة لك على الحصول عليه .

– ليس عندي أمر مستحيل ، اذا كان فيه شفاء زوجتي .

– لقد جزم الطبيب بان دواء امرأتك قلب قرد ، والا فمصيرها الموت .

– قلب قرد !

– نعم . اما قلت لك ان لا سبيل الى الوصول الى الدواء ؟ من اين لنا قلب قرد ؟ سوف ترى امْرأتك تموت تحت ناظرَيك ، وانت عاجز عن مساعدتها . »

في هذه الاثناء أخذت المريضة تشهَق الشهقة

تِلْو الشهقة ، لتُوهم زوجها ان ساعتها قد أتت . تولّى الجزع الغيلم وغاص في بحر أفكاره :

قلب قرد ! والهفي عليك ، يا قردون !

زوجتي في النزاع ! واحسرتي عليك ، يا شريكة حياتي .

بئس الورطة التي وقعت فيها : إما أغدُر بصديق أخلص لي الوُدّ ، واما أضحّي بزوجة وفت لي كل الوفاء . زوجة عشت معها أجمل سني حياتي . أحبتني حباً خالصاً ، وشاركتني في أفراحي وأحزاني ، وتفانت في خدمتي . وهل يصفو لي عيش بعدك ، يا عزيزتي ؟

ولكن ما ذنب القرد وما شأنه بمرض زوجتي ؟ وعدته بان أعود اليه صديقاً مخلصاً ، وأراني سأوافيه خائناً قاتلاً . لا ، هذا من المُحال . لا يجاريني قلبي في الغدر به . تأبى علي مُروءتي ان أقصِده بلباس صديق ، بينما أُضمر له الشرّ ، وأحتال عليه لأبطُش به .

ما العمل ؟

كيف أسمح لنفسي بان أترك زوجتي تموت بعد ان عرَفت الدواء ؟ ما أظنك ، يا صديقي قردون ، الا قد شبِعت من الحياة . اما قلت لي ان الضجر أسقمك ، ووصل بك الى اليأس ؟ لقد طعَنت في السن ، ولن يمضي عليك فترة من الزمن حتى تُقعدك الشيخوخة عن الحركة . كيف يحلو لك عيش آنذاك ، ومن يهتمّ بك ويقوم بأَودك ؟ ومن كان ملكا في وقت من الاوقات هل يطيب عيشه ، وقد غدا شريداً طريداً منبوذا ؟

أعتذر اليك سَلَفاً مما سأقدم عليه . وكن على يقين ، يا عزيزي قردون ، من اني سأغدُر بك والأسى يحزّ في نفسي . على كل حال سأحفَظ ذكراك الى الأبد . وهمّ بان يذرِف الدمع مِدراراً ...

رفع رأسه ، قال :

– أسألك ، يا جارة ، ان تسهري على المريضة ، وانا ذاهب في طلب الدواء . »

– ٨ –

غادر الغيلم بيته مُيمّما مَقرّ السعدان . وصل فألفاه في شجرة يقطِف من ثمارها ويأكل . ما ان أبصر القرد به حتى نزل من الشجرة وصافحه بوجه مُشرق وثغر باسم . ثم قال :

– أراك تعِبا ، يا أخي . اجلس هنا . » ثم صعِد الشجرة وراح يرمي له من ثمارها حتى تملّأ (اكل فشبع) . حينئذ نزل اليه وقال له :

– هات حدّثني . ما حبَسك عني كل هذه المدة ؟ استبطأت مجيئك وخامرتني الهواجس والشكوك .

– كيف استْبطأت عودتي ، وغيابي لم يدُم غير يوم ونصف اليوم .

– وهل تجهل ان الشوق مجنون؟ الا اعلم ان ساعة
من الوقت تبدو لي دهرا ، اذا ما غبت عن عيني .
صدّقني انني كنت أَعُدّ الدقائق والساعات وانا أترّقب
قدومك . أرقى الشجرة بين الفينة والفينة ، وانا أتشوّف
الى البعيد لعلي أراك مقبلا . اما الآن ، وقد أتيت ، فقد
تمّت هناءتي لان مرآك يجدّد شبابي . وحقك لو أبطأ
مجيئك لكنت عفت الحياة وقتلت نفسي . »

سكت الغيلم وفكّر في نفسه : ان هذا اللقاء الحار
لا يسهّل علي مهمتي . وأحسّ بانّ عزيمته قد تراخت
او كادت . ومثلت أمام عينيه صورة زوجته على فراش
الموت ، فصلّب قلبه وشدّد من همته ، قال :

– ان استقبالك الأخوي أنعشني ، ونفذ مني الى الصميم . »
وصمت وبدا عليه الارْتباك .

فقال له قردون :

– اين زوجتك ؟ اما أمّلتني انك ستصطحبها الى هنا ؟

– هو كما قلت . ولكن عندما فاتحتها بالأمر ، بعدما
أخبرتها بما أسديت الي من معروف ، وأوليتني من
فضل ، هتفت بي : ولو ، يا زوجي ، أهذا مبلغ
فهمك ؟ فالأجدر بك ان تدعو صاحبك الى منزلنا
فيقيم معنا . وسوف اكون له أختاً وأمة ، فيمضي بيننا
شيخوخة هادئة مطمئنة . أليس من الجهل ان نهجُر
بيتنا الذي وُلدنا فيه لنذهب فنعيش في مكان قفر؟
اما قلت له ان الجزيرة التي نقطُنها وافرة الخير ، طيّبة
المَناخ ، متنوّعة الأشجار ، وارفة الظلّ ؟ ... على كل
ادْعُه لزيارتنا . اذا راقه المُقام بيننا كان به ، والا لكل
حادث حديث ، فسدّدت رأيها . وتراني الآن باسمي
وباسم زوجتي أسألك ان تشرّف منزلنا بزيارتك .

– ان زوجتك غاية في اللطف والذوق وكرم الاخلاق ،
ولكنني أتردّد في قبول دعوتها ، لانني أَنفِر من الاقامة
في مكان آهل لأسباب تعلمها .

- لا يَقلقنّ بالك ، يا أخي ، ليس هناك من يُلمّ بقصتك ، وقد لفّها النسيان . وجزيرتي بعيدة عن وطنك فلا خوف ان أحدا من عشيرتك يسعه الوصول اليها ، والمياه تُحيق بها من كل جانب .

- صدقت ، ولكني أخاف ان أثقّل على امْرأتك فأحمّلها عِبء خدمتي .

- أتنسى انها هي التي ألحّت عليّ بدعوتك ، وانْتهت الى القول : اذا عدت ، وقردون ليس بصُحبتك ، سأُغلق الباب بوجهك . أمِن اللياقة ان ترفُض وقد سمِعت ما سمعت ؟

- سأبدو سيء الأدب ، قليل الذوق ، اذا لم أستجب لرغبتها . انا رَهْن إشارتك ، فمتى نرحل ؟

- نَبيت ليلتنا ونشُدّ على الرحيل في ساعة مبكّرة .

- كما تشاء . »

— ٩ —

في الصباح الباكر استفاق الصديقان من نومهما وارْتحلا . وما هي الا ساعة حتى بلغا المياه التي تكتنف الجزيرة . احتمل الغيلم القرد على ظهره وسبح به . وما سار به قليلا حتى ساورته الهواجس والهموم : ويل لي من شقي ! الى اين اذهب بصديقي القرد ؟ أقوده الى حتفه . ضايقته هذه الفكرة ، واسْودّتِ الدنيا في عينيه ، وتوقّف عن السِّباحة ، وكاد يصرُخ بصاحبه : انجُ بنفسك . ومرّت أمام عينيه صورة زوجته المُحتضرة . . .

تعجّب القرد من تصرّف صاحبه ، وقد لاحظ ارْتباكه فسأله :

- أراك قلِقا مشرّدا ، يا أخي ، هلا بحت لي بما يُزعجك ! »

فانتبه الغيلم من غفلته وقال :

– لا شيء ... او بالأحرى تركت امرأتي منحرفة المِزاج . وسوف لا تستطيع ان تقوم بواجب الضيافة كما تحب ، وكما يليق بمَقامك .

– ولِمَ لم تُخطرني بالأمر قبل ذلك ؟ اذن لكنا أجّلنا سفرتنا .

– ما كان قد كان . ان زوجتي أصرّت على ان ترافقني ، مهما كانت الظروف ، لكي تعبّر لك عن شكرها ، وتبادلك إحسانك بمثله ، فنزلت على ارادتها

– ان ما تقول لي يزيدني شوقا الى التعرّف الى تلك السيدة الفاضلة . ولكن لا تَشغَل بالك ، سوف نكفيها مُؤونة خدمتنا . ولست بحاجة الى برهان على كريم صفاتك وسخاء ضيافتك . »

تابع الغيلم سيره والهموم تنتابه. لن يمضي القليل من الوقت حتى يصل بصاحبه الى منزله . وهناك ...

يا للمأساة ! ويا لهول الجريمة ! فضاق صدره وتوتّرت أعصابه وعجَز عن المسير . ثم تنهّد وقال :

– ان نفسي تحدّثني بسوء . أتمثّل امْرأتي وقد اشْتدّ عليها المرض و... »

فقاطعه القرد :

– هوّن عليك ، يا اخي . لا يَجدُر بك ان تستسلِم الى اليأس والقنوط . جُدَّ في سيرك . قلبي يدُلّني على اننا سنجدها مُعافاة سالمة .

– حبّذا لو صحّ فألك . ولكن ، ويا للأسف ، قد فارقتها وهي الى الموت أقرب منه الى الحياة .

– ألم تستشرِ الأطباء بأمرها ؟

– كيف لا ! ولكن الأطباء يئسوا من شفائها الا اذا ..

– أراك تدفِن في صدرك سرّا لا تكاشفني به . ماذا قال الأطباء؟ تابع حديثك . هل وصفوا لها دواء عزيز المَنال ؟

– نعم وهذا ما يُحزنني ويُقنطني .
– وما هو هذا الدواء ؟ الا تثِق بي فتفتح لي قلبك ؟
– والله ، يا صاحبي ، ان الألفاظ لتخونني كلما أزمعت على الكلام . قال الأطباء ان لا دواء لها الا ...
– الا ...
– قلب قرد .
– قلب قرد !
– هذا ما زعمه الأطباء .
– وما منعك من ان تُشعرني بالأمر قبل الرحيل ؟
– استحييت منك .
– وأسفاه ! عُدْ بي على الفور الى منزلي ، لآتي بقلبي قبل فوات الأوان .
– واين قلبك ؟
– قد خلّفته في الشجرة .
– وما الحكمة من ذلك ؟

– سُنّة فينا ، معشر القرود ، اذا خرجنا لزيارة أصدقاء لنا ، خلّفنا قلوبنا وراءنا ، لئلا تورّطنا فيما لا تُحمَد عُقباه . فارْجع بي الى منزلي وأسرع ، لآخذ قلبي وأحمله الى زوجتك قبل ان توافيها المنية .
– وهل تجود بقلبك لتنجّي زوجتي من الموت ؟
– وهل يدور بخلدك اني أبْخُل بقلبي على امْرأتك فأدعها تموت ؟
– اه ! غمرتني بفضلك . الحق يقال ، انك من صَفوة الخلاّن . »

فقفل الغيلم راجعا الى شاطىء البحيرة ، وقد سُرّي عنه وزايلته همومه . عندما وصلا وثب القرد الى الشجرة ، واعْتصم فيها ، ولبث صديقه ينتظر نزوله . ولما أبطأ عليه ناداه :
– ما أراك الا نسيتني ، يا خليلي . احمل قلبك وانْزل .
– خديعة بخديعة ، يا غيلم . امضِ في سبيلك راشدا ، وفقّك الله . »

- ١٠ -

إنقلب الغيلم الى بيته منكّس الرأس ، كسير الخاطر ، ممزّق الشعور. فمصيبته مصيبتان : فقد صديقه ، وسوف تموت امْرأته . بلغ منزله وهو يتوقّع شرّاً ، فهبّت زوجته من فراشها سليمة وقالت :

- عَمدت الى هذه الحيلة لأُفرّق بينك وبين القرد ، فكان لي ما اردت . » فلم يُحرِ الغيلم جوابا .

شيّع القرد صاحبه ببصره حتى توارى عنه . ولكنه لبِث بمكانه مشرَّد الأفكَار ، دامي القلب ، يندُب صداقة سِرعان ما ماتت . تُرى ، كيف تحوّل الغيلم من صديق مخلص الى عدوّ غادر؟ بِمَ اسأت اليه ومن أغراه بي ؟ ان في الامر لسرّا ولا حيلة لي في جلائه .

مضى يوم ويومان والغيلم في وجوم . سرّه ، دون

ريب ، ان امْرأته قد أبلّت من مرضها المزعوم . ولكنه لا يقوى على ان يتناسى صديقه الذي عطف عليه عطف الام على ولدها .

«كيف سوّلت لي نفسي خيانته ؟ فاني أتمثّله قابعاً في شجرته ، فريسة الهم والأسى . كان قد تعزّى بي عن مصابه وبسمت له الحياة من جديد ، وها انا قد نكأت جراحه وهيّجت آلامه . هل من وسيلة الى تلافي ما حدث ؟ لن يصفو لي عيش ما دام القرد حاقدا علي . »

قام الى زوجته وقال لها :

- يا امرأة ، عليك ان تُصلحي ما أفسدت .

- ما بك ، يا زوجي ، وماذا تعني ؟

- قومي بنا الى القرد نُطلعه على حقيقة ما جرى ، ونسأله ان يتجاوز عن إساءتنا .

- هل جُننت ؟ دع القرد وشأنه .

– لا بل انت المجنونة وانا العاقل . أقسم لك بشرفي ، ان لم تجاريني في طلبي تركتك وهمت على وجهي في الارض . »

رضخت الزوجة على مضض . فنهضا من ساعتهما وقصدا مقرّ السعدان ، فألفياه في شجرته كئيبا ، خائر القوى ، أصفر اللون . ناداه الغيلم قائلا :

– اسألك ان تصغي الي ، ثم اصنع ما بدا لك . »

وروى له ما كان من أمر زوجته . وأنهى كلامه قائلا :

– هلا صفحت عنا ! فان ما خبِرتُ من سموّ أخلاقك وسلامة طويتك ، هو الذي جرّأني على القدوم اليك . »

نزل القرد من شجرته ومشى الى صديقه متثاقل الخطى وعانقه ، قال :

– انك رددت لي الحياة . قضيت ثلاثة ايام لا أطعَم طعاماً ، ولا أشرب شرابا . »

حينئذ اصْطحب الغيلم وزوجته القرد الى بيتهما وعاشوا معا في هناءة وسعادة .

اسئلة

القرد والغيلم

١ لماذا قرر القردة ان يقيموا عليهم ملكا ؟ (١)
٢ لماذا احتج احد الحاضرين على انتخاب الملك في الاجتماع ؟ هل كان صادقا في الاسباب التي اوردها ؟ (١) .
٣ من افسد على الملك سيرته الأولى ؟ (٣)
٤ هل توافق على عدم محاكمة الملك ؟ اشرح . (٣)
٥ ما رأيك في زوجة الغيلم ؟ (٥)
٦ هل كان القرد مخلصا لصديقه ؟ اعط امثلة .
٧ هل تقرّ الغيلم على ما فعل بالقرد ؟ اشرح .
٨ هل توافق على نهاية القصة ؟ اشرح .
٩ أي مشهد أثر فيك – لماذا ؟
١٠ انسخ بعض المفردات الجديدة واشرحها واذكر من مشتقاتها فعلا واسماً موصوفاً وصفة وتعابير تدخل فيها تلك الكلمات ومشتقاتها .

بعض الامثال .

انسان والموت

انسان مرة حمل جُرزة حطب ، فثقُلت عليه . فلما أعيا وضجِر من حَملها ، رمى بها عن كتِفه ، ودعا على روحه بالموت . فشخَص له الموت قائلا :

– ها أنا ذا ، لِمَ دعوتني ؟ »

فقال له الانسان :

– دعوتك لتحوّل هذه جرزة الحطب على كتفي . »

مغزاه : ان العالمَ بأسره يحبّ الدنيا ، وانما يَملّ من الضعف والشقاء . (لقمان)

قطتان وقرد

قِطّتان اختطفتا جُبنة ، وذهبتا بها الى القِرد لكي يقسِمها بينهما . فقسمها الى قسمين ، احدهما اكبر من الآخر ، ووضعهما في ميزانه ، فرجَح الأكبر . فأخذ منها شيئا بأسنانه ، وهو يُظهر انه يريد مساواته بالأصغر. ولكن اذ كان ما أخذه منه هو اكثر من اللازم رجح الاصغر. ففعل بهذا ما فعله بذاك ، ثم فعل بذاك ما فعله بهذا ، حتى كاد يذهب بالجبنة .

فقالت له القطتان :

– نحن رضِينا بهذه القِسمة ، فأعطنا الجبنة .

فقال :

– اذا كنتما انتما رضيتما فان العدل لا يرضى . »

وما زال يقضِم القسم الراجح منهما حتى أتى عليهما جميعاً . فرجعت القطتان بحزن وخيبة . (المجاني)

ثعلب وطبل

زعموا ان ثعلبا جائعا أتى أجمة فيها طبل معلّق على شجرة . فاذا هبّت الريح ، تحرّكت اغصان الشجرة ، وأصابت الطبل ، فصوّت صوتا شديدا . فسمِع الثعلب ذلك الصوت ، فتوجّه نحوه حتى انتهى الى الطبل . فلما رآه ضخما قال في نفسه : ان هذا لخليق بكثرة الشحم واللحم .

فعالجه اشدّ العلاج حتى شقّه . فلما رآه أجوف قال الثعلب : لعل أفسل الأشياء (اردأها) أعظمها جثة ، وأبعدها صوتا .

(كليلة ودمنة)

صحة البدن أوفر القِسم

قيل :

ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء في شدّة ومحنة ، فقالت لها :

– ما تصنعين ههنا ؟ إذهبي معي الى البيوت التي فيها أنواع النعيم والخِصب . »

فذهبت معها . واذا صاحب البيت الذي كانت تسكنه ، قد هيّأ لها الرصَد ، لَبِنة تحتها شحمة . فاقتحمت لتأخذ الشحمة ، فوقعت عليها اللبنة فحطّمتها . فهربتِ الفارة البرية ، وهزت رأسها متعجبة وقالت :

– أرى نعمة كثيرة وبَلاء شديدا . الا وان العافية والفقر احبّ الي من غنى يكون فيه الموت . ثم فرّت الى البرية .

(الأبشيهي)

الناسك وجرّة السمن .

زعموا ان ناسكاً كان يُجرى عليه من بيت رجل من التجار رزق من السمن والعسل والسَّويق . وكان يُبقي من ذلك السمن والعسل ، فيجعلهما في كوز له قد علّقه ، حتى امتلأ الكوز من ذلك . ووافق غَلاء في السمن والعسل فقال :

– انا بائع ما في هذه الجرّة بدينار اقلّ ما انا بائعه . فأشتري بالدينار عشرة أَعْنز ، فيحمِلْن ويلِدْن لخمسة اشهر . » فحزَر على هذا الحساب (قدّر) لخمس سنين ، فوجد ذلك اكثر من اربعمائة عنز في حسابه . ثم قال :

– فأشتري مئة من البقر ، بكل أربعة من الأعنز ثورا وبقرة ، فأصيب بَذرا ، فأزرع على الثيران ، وانتفع ببطون الأناث وألبانها ، فلا يأتي عليّ خمس سنين ، الا وقد أصبت منها ومن الزرع مالا كثيرا . فأبتني بيتا فاخرا ، وأشتري عبيدا ورياشا ومتاعا ، فاذا فرغت من ذلك ، تزوّجت امرأة ذات حسب ونسب . ثم تلِد لي ابنا سويّا مبارَكا فأسمّيه مَيمونا وأؤدّبه أدبا حسنا ، وأشُدّ عليه في الادب ، فان رأيته عقوقا مهتبلا ، ضربت رأسه بهذه العصاة ، هكذا . »

ورفع العصاة يشير بها ، فأصابت الكوز ، فانكسر وانصبّ السمن والعسل على رأسه ، وذهب تدبيره وكل أمانيه باطلا .

(كليلة ودمنة)

اسد وثعلب وذئب

اسد وثعلب وذئب اصطحبوا فخرجوا يتصيّدون . فصادوا حمارا وأرنبا وظبيا .

فقال الأسد للذئب : إقسِم بيننا .

فقال الذئب : الأمر بيّن . الحمار للأسد ، والارنب للثعلب ، والظبي لي . »

فخبطه الاسد فأطاح رأسه . ثم أقبل على الثعلب فقال :

– ما كان أجهل صاحبك بالقِسمة ! هات انت .

فقال : يا ابا الحارث ، الأمر واضح . الحمار لغَدائك ، والظبي لعَشائك ، وتخلّل بالأرنب فيما بين ذلك .

فقال له الاسد : ما أقضاك ! من علمك هذا الفقه ؟

فقال : رأس الذئب الطائر من جثته . »

(القليوبي) .

اذا كان الطباع طباع سوء

حكى بعضهم قال :

دخلت البادية ، فاذا انا بعجوز بين يديها شاة مقتولة ، والى جانبها جَرْو ذئب . فقالت : أتدري ما هذا ؟

قلت : لا

قالت : هذا جرو ذئب اخذناه صغيرا ، وأدخلناه بيتنا وربّيناه ، فلما كبر فعل بشاتي ما ترى . وأنشدت :

بَقَرْتَ شُويهتي وفَجَعت قومي
وأنت لشاتنا ابْنٌ ربيبُ

اذا كان الطباعُ طباع سوءٍ
فلا أدب يُفيد ولا أديبُ

(الابشيهي)

الذئب والغراب وابن آوى والجمل

زعموا ان أسدا كان في أجمة تجاور طريقا من طرق الناس ، له أصحاب ثلاثة ، ذئب وابن آوى وغُراب . حدث ان مرّ بعض التجار في ذلك الطريق ، فتخلّف عنهم جمل لهم . فدخل الأجمة حتى انتهى الى الأسد .

فقال له الأسد : من اين أقبلت ؟ فأخبره بشأنه .

فقال له : ما تريد ؟

قال : أريد صحبة الأسد .

قال له أبو الأشبال : ان أردت صحبتي ، فاصْحَبْني

في الأَمن والخِصب والسَّعة . »

فأقام الجمل مع الأسد حتى كان يوم توجّه الأسد في طلب الرزق ، فلقي فيلاً فقاتله قتالا شديداً . ثم قفل ، والدم يسيل من جراح أثخنه بها الفيل بنابه . فلزم عرينه ، لا يستطيع صيدا . فلبِث الذئب وابْن آوى والغُراب أياما لا يُصيبون شيئا من فضول الاسد ، وأصابهم جوع وهُزال شديد .

فعرَف الأسد ذلك منهم فقال : جُهدتم واحْتجتم الى ما تأكلون .

فقالوا : حفِظ الله الملك . ليس همّنا أنفسنا ، بل يغُمّنا ان لا نجد للملك بعض ما يُصلحه .

قال الأسد : ما أشُكّ بمودّتكم . ولكن انْتشروا فعسى ان تصيبوا صيدا نمسك به رَمَقنا . »

خرج الذئب والغُراب وابن آوى فتنحَّوا ناحية ، وائتمروا فيما بينهم . قال الغراب :

– ما لنا ولهذا الجمل الآكل العشب الذي ليس شأنه شأننا . الا نُزيّننّ للأسد ان يأكله ويُطعمنا من لحمه .

قال ابن آوى : هذا ما لا نستطيع ذكره للأسد فانه قد أَمّن الجمل وجعل له ذِمّة .

قال الغراب : أقيما مكانكما ، ودعاني والأسد . »

فانقلب الغُراب الى ابي فِراس فلما رآه الأسد قال له :

– هل حصّلتم شيئا ؟

أجاب الغراب : ان ما أصابنا من الجوع أقعدنا عن الحركة . ولكن اتّفق رأينا على أمر ، ان وافقتنا عليه ، كان فيه خيرنا .

قال الأسد : وما ذلك الأمر؟

قال الغراب : هذا الجمل الآكل العشب في غير صَنعة ...

فغضِب الأسد وقال : ويلك ما أخطأ مقالتك ،

وأعجز رأيك ، وأبعدك من الوفاء والرحمة . كيف
تجرُؤ ان تستقبلني بهذا الكلام ؟ ألم تعلم اني أمّنت الجمل ؟
وهل من عمل أعظم من ان نُجير نفسا خائفة ، ونحقُن
دما زكيا ؟ أتريدني ان أغدُر بالجمل بعد ان أمّنته ؟

قال الغراب : معاذَ الله ان أُحرج الملك ، ولكن
سأحتال حيلة فيها وَفاء للمك ، وظفَر لنا بحاجتنا . »

فسكت الأسد .

اتى الغراب أصحابه ، وأخبرهم بما كان . ثم
تابع :

– بقي ان نحتال للجمل فنُهلكه ، دون ان يُخفر الأسد
ذِمته .

قال صاحباه : انت صاحب الرأي .

قال الغراب : الرأي ان نجتمع والأسد والجمل .
ثم يَعرِض كل واحد منا نفسه على الأسد قائلا :
كلني ، ايها الملك ، ولا تمتْ جوعا . فيُسفّه الآخرون

رأيه ، حتى اذا تكلم الجمل هتفنا بصوت واحد :
بالصواب نطقت . »

حينئذ دعَوا الجمل الى نادي الأسد .

قال الغراب : دام عِزّك ، ايها الملك . نفسي
فداك ، وأحبُّ شيء الي ان تأكلني ، فتُشبع جوعك ،
وتستعيد قواك .

فأجابه الآخرون : اسكتْ ، فما انت ؟ وهل
في أكلك من شبع ؟

قال ابن آوى : انا مُشبع للملك .

فقالوا : انت مُنتن البطن ، خبيث اللحم ،
فنخاف ان اكلك الملك ان يقتله خُبث لحمك .

قال الذئب : انا لحمي طيّب مريء .

فصاحوا : صه ! يا دَعيّ ! قالتِ الأطباء :
من أراد قتل نفسه فليأكل لحم الذئب .

قال الجمل : ايها الملك ، ان لحمي شهيّ لذيذ ،

وفيه شبع للملك .

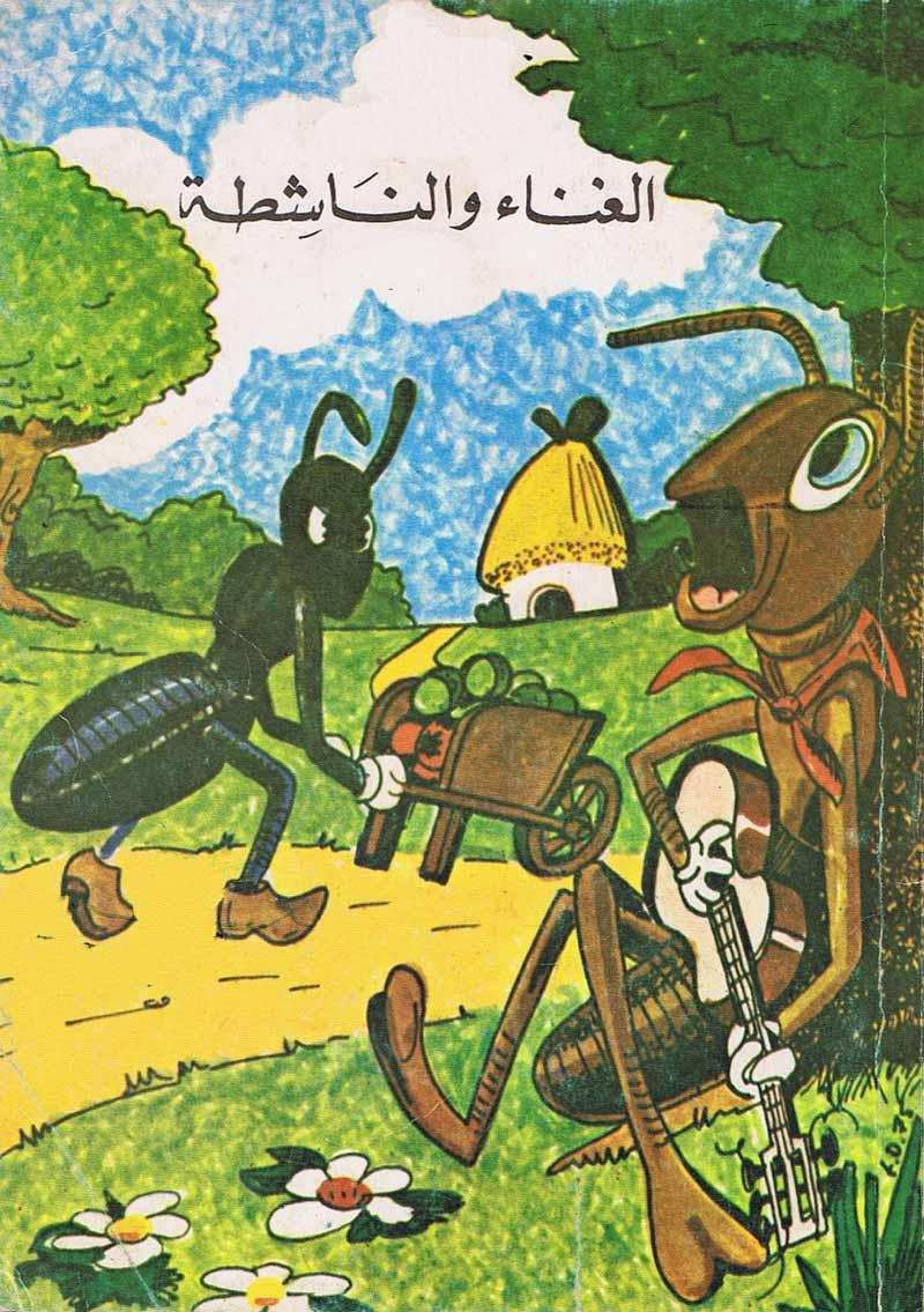
فهتفوا : صدقت وتكرّمت . » فوثبوا عليه فمزّقوه .

(عن كليلة ودمنة – بتصرف)

فهرس

القرد والغيلم

بعض الامثال


الغناء والنَاشِطة